التمكين

بين وهم التيارات المتشددة والحقيقة القرآنية

محمد عبد اللطيف

ع | ورقة بحثية رقم (٢) | مسلسل رقم (٧) ٢٠١٨

مُبادرات طابة
TABAH INITIATIVES

التمكين

بين وهم التيارات المتشددة والحقيقة القرآنية

الإخوان نموذجًا

تأليف
محمد عبد اللطيف
باحث

مبادرات طابة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

سند
SANAD

الترقيم الدولي : 978-9948-24-593-3

www.tabahfoundation.org

التمكين

جميع الحقوق محفوظة © ، يمنع إنتاج أو توزيع أي جزء من هذا الإصدار بأي وسيلة دون موافقة خطية صريحة من مؤسسة طابة ، إلا في حالات الإقتباس المختصر مع العزو الدقيق ، والكامل في المقالات النقدية ، أو المراجعات .

نبذة عن مؤسسة طابة :

هي مؤسسة غير ربحية تُعنى بالإسهام في إعادة تأهيل الخطاب الإسلامي المعاصر للاستيعاب الإنساني، وتعمل سعيا نحو رسالتها على تقديم أبحاث ومبادرات واستشارات وتطوير كفاءات.

نبذة عن مبادرة سند :

"مبادرة سند هي مبادرة مجتمعية تواصلية عبر اصداراتها المرئية والمقروءة وفعالياتها المباشرة، تهدف إلى معرفة وتسليط الضوء على اقوال وأفكار الإسلاميين المنحرفة والرد عليها بالحجة والبرهان لتصحيح المفاهيم المغلوطة مما يحفظ على الناس دينهم."

نبذة عن الباحث :

محمد عبد اللطيف رمضان الأزهري

باحث شرعي - ليسانس أصول الدين جامعة الأزهر الشريف

درس العلم الشرعي في أروقة الأزهر الشريف وغيرها على عدد من أهل العلم.

باحث سابق في مكتب رسالة الأزهر وله بعض المقالات فيه ، ومجلة الوعي الإسلامي، وله مشاركات بحثية متعددة.

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف المصرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، استخلف أنبياءه ورسله والصالحين من عباده بطاعته في أرضه منًّا وفضلا، ومكّن لهم في ذلك ليقوموا بمهمة الخلافة في نشر الخير بين عباده قولا وفعلا، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله أفضل من أقامه الله في أعلى صور التمكين في كل مراحل دعوته سرا وجهرا، وعلى آله وصحبه المستقيمين على منهجه أزمنة قرنا فقرنا.

أما بعد....

فهذا بحث وجيز حاولت أن أقف فيه على إحدى الرؤى الفكرية المعاصرة التي ظلت فترة من الزمن تعصف بأفكار الشباب المسلم الذي يرى واقع أمته المرير من ضعف وفرقة وشتات، فأخذت تلك الرؤية الفكرية الوليدة النضج بمجامع عقول الشباب، حتى تجندوا لها وبذلوا أعز ما أنعم الله به عليهم من عقول ونفوس في التضحية من أجلها، وهي في الحقيقة مجرد سراب ووهم؛ لأنها لم تقم على أساس صحيح من التبصر وإعمال العقل والفكر في الأدلة الواردة والنصوص الشرعية والفهم الصحيح، والقراءة الواعية لمنهج القرآن الكريم، وسيرة سيد المرسلين محمد بن عبدالله وورثته من العلماء العاملين الصالحين.

وهذه الرؤية كانت أحد المنطلقات الأساسية لدى جماعة الإخوان المسلمين؛ وهي(**التمكين أو الخلافة**)، التي أصبحت مع بقية تلك المنطلقات الفكرية من الحاكمية والجاهلية والعصبة المؤمنة والولاء والبراء والاستعلاء وحتمية الصدام، السند الأقوى والمحرك الفاعل في حياة تلك الجماعة، والتي تولّد منها بالإضافة الى أفكارها كل الجماعات الاخرى المتشددة المسلحة في العالم اليوم والتي طار شررها واستطار، وأدى هذا الفكر وأصحابه من تلك الجماعات الى ضرر كبير على المسلمين وعلاقتهم بالآخرين سواء كانوا في بلدانهم الإسلامية أو في البلدان الأخرى من العالم.

لذلك كله وللحفاظ على الصورة الناصعة لرسالة الإسلام والنبي الكريم سيدنا محمد بن عبدالله .... رأيت كتابة هذا البحث للبيان والتوضيح.

واسأل الله الكريم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يلهمني فيه الرشد والصواب، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقد جعلت هذا البحث على :

- مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.
- المبحث الأول : عوامل التأثير على نشوء منطلق التمكين .

المطلب الأول : انهيار دولة الخلافة وأثره على المنطلق .

المطلب الثاني : تكوّن المنطلق عند حسن البنا وأثره على جماعة الإخوان (الإمامة عند البنا ومناقشتها)

المطلب الثالث : علاقة الحاكمية في تكوين منطلق التمكين

(الحاكمية عند سيد قطب وأثرهاعلى التمكين)

– المبحث الثاني : الإنحراف الفكري في فهم نصوص التمكين

المطلب الأول : القراءة المختلة للسيرة النبوية وتوظيفها للمنطلق

المطلب الثاني : المفاهيم الخاطئة للنصوص وأثرها على المنطلق

المبحث الثالث : مفهوم التمكين في القران الكريم

المفهوم الأول : التمكين البشري

المفهوم الثاني : التمكين للمستضعفين

المفهوم الثالث : التمكين للمؤمنين

المفهوم الرابع : التمكين لولاة الأمور

المفهوم الخامس: التمكين لغير المسلمين

تمهيد

هناك بعض المصطلحات الشرعية التي تم توظيفها بطريقة غير سديدة، فأخذت أبعادًا عقدية، وهي من الفروع الفقهية، كمسألة الإمامة أو الخلافة، حيث انطلقت الجماعات الدينية في السعي للتمكين لدولة الإسلام بإحياء بعض الأفكار بتفسير عجيب لها.

ومسألة التمكين لإقامة الدولة الإسلامية قد أخذت حيزًا كبيرًا عند عدد من التيارات الدينية وعلى رأسها جماعة الإخوان ، وهي مسألة طالما رددها الإخوان وغيرهم من التيارات في أدبياتهم وجعلوها محورًا مركزيًا ينطلقون منه لأجل تحقيق الدولة المنشودة، من غير فهم للنصوص على وجهها، وهؤلاء الذين ينادون بضرورة العمل على التمكين للدولة الإسلامية ينطلقون في استدلالهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكلام الفقهاء الذي يختارونه بطريقة إنتقائية ، وبعض الفتاوى المؤدلجة التي لا علاقة لها بالفهم الصحيح الذي درج عليه علماء الأمة عبر الأزمنة ، وقد فهم البعض تلك النصوص من الأحاديث النبوية التي تخبرنا عن الخلافة على أنها أمر بالسعي لتحصيل التمكين وإقامة الخلافة الإسلامية، ولم ينتبهوا إلى أنها وصف خبري لا يفيد تشريعا، فحصل الاستدلال بأحاديث الفتن بعيدا عن دلالتها الحقيقية في كونها وصفٌ خبري لا يفيد تشريعا، وجاء الأستاذ حسن البنا رحمه الله لينص في رسائله على أن

مسألة الإمامة التي توازي الحكم والرياسة في عصرنا الحديث من الأصول لا من الفروع، وقد نص أهل العلم على أن مسألة الإمامة من الفروع لا من الأصول، وبهذا قال الإمام الجويني، والإمام الغزالي، والإمام القرافي، والآمدي، والتفتازاني وغيرهم من أهل العلم كما سنوضح ذلك ضمن طيات هذا البحث، وقد جعلها حسن البنا من الأصول! خلافا لجماهير أهل السنة والجماعة، ثم جاء سيد قطب بعد البنا وأسس لمسألة الحكم، وقد استمدها سيد قطب من البنا الذي يقول في رسائله : «وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقد جعل النبي "ﷺ" الحكم عروة من عري الإسلام، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع»[1].

وبناء على هذا أخذت فكرة الحكم والخلافة حيزا واسعا، وأخذت أبعادا عقدية وسياسية ترتب عليها بعد ذلك قضية إيمان وكفر، وظهرت عشرات الأطروحات التي تؤصل لهذا الكلام وتعتمد كلام البنا في مسألة الإمامة، وتلقفتها أيدي أبناء هذه الجماعات كما تلقفت كلام البنا وقطب من قبل، حتى صارت جزءا لا يتجزأ في أحاديثهم وكتاباتهم، ومنشوراتهم، وقدمت جماعة الإخوان نفسها على أنها هي البديل الذي لا مناص منه،وأنها جيل

(١) رسائل حسن البنا ، دار الشهاب، ص ١٧٠ .

النصر المنشود، وأن الشعوب في انتظارها لتخليصها من ربقة الاستعباد، حتى صارت مسألة الحكم والسعي له من أوجب الواجبات عندهم، ولو انصرفوا إلى ميادين الدعوة والتربية تحت مظلة العلماء الربانيين لكان هذا أجدى وأنفع، ولكان له الأثر العظيم عليهم وعلى غيرهم، ولكنهم لا يريدون أن يرضخوا للعلماء الفقهاء الحكماء، إنهم يريدون من العلماء أن يرضخوا لهم ولأفكارهم وأغراضهم، وأن يعملوا معهم تحت رايتهم، وإن لم يكونوا تحت رايتهم فلا أقل من أن يتعاطفوا معهم، فإن عارضوهم ناصحين أو وقفوا حائلا بينهم وبين تحقيق ما يريدون، كان جزاء هؤلاء العلماء التشويه، والتخوين، وأنهم علماء السلطان !!، وهي كلمة دُست بين المسلمين وانتشرت بينهم من أجل نزع الثقة وسحب البساط من تحت أيدي أهل العلم، وقد نجح الأعداء في ترويج ذلك وتعميمه، وتجرأ العامة على العلماء من خلال ما يردده قادة وأبناء الحركة الإسلامية، وصارت ألسنتهم تلوك أهل العلم بكل جرأة وبلا رحمة، ويشوهون مخالفيهم بكل قسوة، لأنهم يرون أن كلامهم هو الإسلام!.

ومسألة التمكين لإقامة دولة الإسلام بفهمها المغلوط الذي ذكرناه آنفا تجدها في أدبيات وكتب الإخوان المتداولة بينهم كرسائل حسن البنا، وككتاب معالم في الطريق، وكتاب الظلال لسيد قطب، الذي قال عنه الدكتور القرضاوي نفسه في مذكراته ابن القرية والكتاب : " إن فكرة التكفير لمسلمي

اليوم لم ينفرد بها كتاب (المعالم) بل أصلها في (الظلال) وفي كتب أخرى أهمها "العدالة الاجتماعية " [1].

وقد تأثرت الكتابات العديدة بعد ذلك بما سطره سيد قطب، فكتب أحدهم في كتاب "الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية[2] " وهو صادق أمين، في الفصل الأول منه متحدثا عن صفات الحركة الإسلامية المنقذة قائلا :

" يجب أن يكون مفهوم "لا إله إلا الله" واضحا لدى الدعاة، وهو أن تكون الألوهية لله وحده، وأول مدلولاتها في الحياة البشرية في هذه الأرض: أن تكون الربوبية والحاكمية والسلطان والتشريع لله وحده". ثم يتكلم الكاتب عن معنى هذا التوحيد فيقول: " ونعني بمفهوم لا إله إلا الله، توحيد الله بأنواعه الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات"، وهذا التقسيم الذي ذكره ذلك الكاتب حذر منه أهل العلم لخطورته في فتح باب التكفير للأمة الإسلامية، وتبني مثل هذا التقسيم وغيره فيه دلالة على تأثر الإخوان بأدبيات التيار السلفي رغم أن البنا لم يذكر هذا التقسيم في العقائد، ولكن

(١) ابن القرية والكتاب، يوسف القرضاوي .

(٢) كتاب لصادق أمين، وهذا الاسم وهمي ، وقيل أنه لعبدالله عزام، وعزام ممن تأثر بالفكر السلفي مع إخوانيته، والكتاب مع صغرحجمه إلا أنه من الكتب التي لاقت رواجا، ونقل منه صاحب كتاب " الطريق إلى جماعة المسلمين " تأليف حسن بن محسن بن علي جابر ، وهي رسالة ماجستير وقد نوقشت الرسالة في الجامعة الإسلامية سرا في المدينة المنورة وهو كتاب يسير على نفس النسق !!، وقدم له المستشار علي جريشة، والكتاب فيه أباطيل ومفاهيم سقيمة يجب التحذير منها .

انفرط العقد كما يقولون، وقد كتب عن هذا الأستاذ حسام تمام رحمه الله فيما أسماه " تسلف الإخوان" ، وقد رد أهل العلم على هذا التقسيم بمؤلفات عديدة منهم الشيخ العربي التَّباني في كتابه "براءة الأشعريين"، والعلامة الحجة المتكلم أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن أحمد الدِّجوي المالكي الأزهري المتوفى سنة ١٣٦٥هـ في مقالته " نقد تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية "، رحمهما الله، وكتب أخرى ناقشت هذه المسألة الخطيرة بتوسع ككتاب: " الرؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه وبيان أثرها على المستوى العلمي والعملي " للأستاذ عثمان مصطفى النابلسي، وغير ذلك من ردود أهل العلم على هذا التقسيم الذي فتح بابا واسعا من أبواب التكفير .

ثم يتجه مؤلف كتاب "الدعوة الإسلامية" إلى الحكم على المجتمعات بالجاهلية كما فعل قطب وفتحي يكن وغيرهم ممن أسهموا في إحياء هذه المصطلحات فيقول عن واقع البشرية :

إن واقع البشرية الآن استنادا إلى المفهوم السابق يناقض "لا إله إلا الله" فالحكام لا يحكمون بما أنزل الله، وأجهزة التوجيه والإعلام بكافة مستوياتها ومواقعها تدفع الناس إلى طريق الشيطان، والمناهج كلها جاهلية، وعادات الناس وتقاليدهم وقيمهم وموازينهم تخالف الإسلام ....الخ"، والمتأمل للكلام السابق يشعر بخطورة هذه الكلمات التي تؤدي في نهاية المطاف إلى الصدام مع المجتمع والحكام.

ويواصل الكاتب في تأكيد هذه المفاهيم إلى أن يستقر في أحد فصول الكتاب على أن جماعة الإخوان هي صاحبة المسار الصحيح دون غيرها، ونماذج أخرى من الكتب التي تسلك نفس الاتجاه ككتاب الطريق إلى جماعة المسلمين الذي يرى نفس هذه الرؤية!! وقد قدم له المستشار علي جريشة قائلا: " ففي هذه الرسالة خير كثير، لا غنى لمسلم فضلا عن داعية من الإلمام به" !![1]، ولا ندري ما الخير الذي تحوي هذه الرسالة التي امتلأت بالمفاهيم الغريبة والإسقاطات العجيبة !

وقد عاد الباحث عدة مرات إلى كتاب "الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية" لصادق أمين عدة مرات في رسالته، مما يؤكد على صحة ما ذكرناه سابقا أن الكتاب مع صغر حجمه إلا أنه واسع الانتشار تماما ككتاب "ماذا يعني انتمائي للإسلام" للأستاذ فتحي يكن، والذي خصصنا له مبحثا وجيزا في هذه الورقات للرد على أفكاره التي سطرها في كتابه "ماذا يعني انتمائي للإسلام" ، ومن الكتب التي صارت على هذا النحو أيضا كتاب «المنهج الحركي للسيرة النبوية» لمنير الغضبان، وقد استلهم فكرة كتابه من كتاب معالم في الطريق لسيد قطب، كما سنبينه في مبحث عسكرة السيرة النبوية من هذا الكتاب، وقد قمت بهذا صيانة لدين الله سبحانه وتعالى أن تلتصق به هذه

(١) الطريق إلى جماعة المسلمين ، حسين بن محسن بن على جابر ، دار الوفاء للطباعة والنشر- والتوزيع ط: ٤ - ١٤١٠هـ- ١٩٩٠، ص ٨.

المفاهيم التي ابتعدت تمام البعد عن الفهم المنضبط الصحيح الذي أطبقت عليه الأمة الإسلامية عبر العصور، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وكتبه : محمد عبد اللطيف محمد رمضان

المبحث الأول

عوامل التأثير على نشوء منطلق التمكين

- **المطلب الأول : انهيار دولة الخلافة وأثره على المنطلق .**
- **المطلب الثاني : تكوّن المنطلق عند حسن البنا وأثره على جماعة الإخوان (الإمامة عند البنا ومناقشتها) .**
- **المطلب الثالث : علاقة الحاكمية في تكوين منطلق التمكين (الحاكمية عند سيد قطب وأثرهاعلى التمكين).**

المطلب الأول : انهيار دولة الخلافة وأثره على المنطلق

بدايةً لا بد من مقدمة توضح لنا كيف تغلغلت هذه الفكرة والتصقت بأذهان قادة الحركات الإسلامية، وكيف كانت هذه الأفكار لها الدور الكبير في هذا الصراع الذي تعيشه الأمة منذ عقود، لا سيما بعد التآمر على الدولة العلية دولة الخلافة التي تدهورت أحوالها في أواخر أيامها، حيث كانت الصدمة قوية على بلاد العرب والمسلمين، فبعد سقوط الخلافة العثمانية تفككت الدول العربية والإسلامية وصارت كلأً مباحا للمحتل الغربي الذي فرض نفوذَهُ وسُلطَانَهُ من خلال القوة، بعد أن نجح في إسقاطها، فأحكم سيطرته على بلاد عديدة، وقد قاومت الشعوبُ المحتلَّ حتى أخرجته من بلادها بعد عناء شديد ذاقوا معه الويلات والضربات المتتالية.

وفي هذا الخضم من الأحداث خرجت بعض الدعوات التي تنادي بضرورة إحياء فكرة الخلافة مرة أخرى، وهي فكرة حسنة ولكن كيف ذلك بعد أن تفككت الدول العربية والإسلامية، واستطاع الغازي والمحتل أن يفرض وجوده بالقوة، إنها حقا مأساة، لكنها تحتاج إلى إعمال فكر لإيجاد الحلول التي تناسب الواقع، لأنه لا بد من مراعاة المتغير، وهذا ما لم تفعله بعض التيارات الإسلامية، ومع مرور الأيام خرجت الدعوات التي تنادي بعودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى، وحاول العلماء قبل ظهور جماعة الإخوان وغيرها من

التيارات إلا أنهم وجدوا أن الواقع أكبر من الطموحات، فقد تم عقد مؤتمرين من أجل أمر الخلافة لكن وجد العلماء بعد قراءة الواقع أنه من المستحيل أن تعود الخلافة مرة أخرى كما كانت، وقد أشار الدكتور علي جمعة في مقدمته لموسوعة "الرد على خوارج العصر" كلاما يوضح لنا جهود العلماء ومحاولتهم أن تعود الخلافة مرة أخرى قائلا: " فقد سعى المسلمون ومنذ أعلن كمال أتاتورك عن سقوط الخلافة في ١٩٢٤م إلى إعادة رابطتهم وعقدهم، فقد اجتمعوا في مؤتمرين كبيرين: الأول في القاهرة سنة ١٩٢٥م، وقد صدر عن هذا المؤتمر مجلة طبعت باسم "مجلة الخلافة بمصر"، والثاني مؤتمر الخلافة بالهند، ولكن للأسف فكلا المؤتمرين قد فشل فشلا ذريعا، نظرًا لعدم استعداد الدول وتهيؤها لأمر الوحدة مرة أخرى في عقد كعقد الخلافة" (١).

ثم يشير إلى نموذج الدكتور السنهوري الذي كتب رسالة تتعلق بهذا الأمر حيث قال: " ولقد قدم الدكتور السنهوري باشا من خلال رسالته للدكتوراة التي تقدم بها إلى السوربون دعوة إلى مؤسسة بديلة يمكنها أن تحل محل الخلافة الإسلامية، وطرح فكرة "عصبة الأمم الشرقية، وهو اقتراح بإنشاء منظمة دولية تكون أداة للتقارب بين الدول الإسلامية المستقلة تعمل على تنمية الروابط بين شعوبها، وتتولى تقديم المساعدة للشعوب التي تطالب باستقلالها،

(١) من مقدمة الدكتور علي جمعة لكتاب الرد على خوارج العصر، تحت إشراف الدكتور علي جمعة،- ط: دار المصباح للنشر والتوزيع، الجزء الأول ص ٢٠

وترغب في المحافظة على علاقاتها التاريخية والعقدية والثقافية مع الأقطار الإسلامية المستقلة، وتمحورت فكرة السنهوري في إنشاء منظمتين: إحداهما تكون دينية، وتهدف إلى تشجيع الحركة العلمية للنهوض بالشريعة الإسلامية باعتبارها أساس وحدة الأمة، وتجمع الثانية الدول الإسلامية من الناحية السياسية والاقتصادية، وتكون أداة للتعاون فيما بينهما، ومن هنا يتضح أن المسلمين وحكامهم لم يزهدوا في الخلافة أو يرفضوها أو يقفوا ضدها، بل هم يبحثون في الطريقة المثلى أو المتاحة أو الواقعية لإعادتها " (١).

ومن هنا ندرك محاولة السنهوري في أن يلفت الأنظار إلى ضرورة قيام كيان آخر بديلا عن الخلافة التي سقطت، واقتراحه أن تكون هناك مؤسسة بديلة تقوم مقام الخلافة بحثا عن حل لهذه الأزمة والكارثة التي مُنيت بها بلاد العرب والمسلمين، أما مجرد الكلام عن عودة الحلم الضائع بهذه الصورة من غير إيجاد حلول لهذه الفاجعة فهو كلام أشبه بالسراب الذي لا فائدة منه،

وقد ذكر الدكتور أحمد عبادي في كتابه " في تفكيك خطاب التطرف "كلاماً يوضح ما سبق، حيث قال :

(وبعد انهيار الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م بالمشرق، الذي بدا كما لو كان فجائيا بيد أنه لم يكن كذلك، إذ كانت معالمه لائحة في الأفق قبل عقود عديدة،

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٠

من ذلك التاريخ، حيث تُركت جملة من الأمصار لذواتها، بسبب تعطل آلية ورود "الفرمانات" من الباب العالي بالأستانة، والتي كانت تدار بها شؤون تلك الأمصار من خلال الباشوات المقيمين فيها، فكان شعور أهلها، بعد إعلان انتهاء دولة الخلافة العثمانية، كشعور الأيتام الصغار عند وفاة والدهم، فتم اغتيال جهود العديد من المصلحين بسبب هذا الشعور، فتأثرت بذلك تشخيصاتهم، حيث رفعوا شعار إعادة بناء الخلافة، في اعتقاد شبه جازم أنها القرص الشافي لجميع العلل والأدواء " مات الأب فلنبحث عن الأب! " وذهولاً عن وجوب البناء القبلي لشروط الخلافة العلمية، والمعرفية، والكفاياتية، والمؤسسية، وقد سلخت الأمة عقودا مديدة جريا وراء جملة من السرابات، ذات الصلة بهذه القضايا.

وتسلل أقوام من بوابة هذا الحلم لكي يستقطبوا ناشئة من أبناء هذه الأمة، غير أن عدم تحقيق(المَاصَدَق) ، قد خلّف بدوره جملة من أضرب اليأس، مما أتاح الفرصة أمام التيارات الفتنوية للقول، «نحن لها» [1].

وقد وضع الدكتور أحمد العبادي يده على الجراحات التي تحاول الجماعات الدينية استقطاب الناس من خلالها وتعمدوا عزل هذه الجراحات عن أسبابها وكيفية ضمدها بما أسماه بالجراحات العشرة بعد أن تحدث عن حلم الصفاء والوحدة والخلاص والكرامة فيما أسماه بتنائج تفكيك الفكر المتطرف، وها

(١) في تفكيك خطاب التطرف، د. أحمد عبادي- ط: الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية – ص ١٠، ١١.

أنا أسوق هذه الجراحات العشرة كاملة التي ذكرها لأهميتها ، وهذه الجراحات يركز عليها الخطاب الإخواني وغيره، وهي عوامل النجاح لدى الجماعة في جذب الشباب وهي وإن كان بعضها صحيحا لكن المشكلة في كيفية استغلالها، وهي كما ذكرها المؤلف :

- **العنصر الأول**: نظرية المؤامرة، وتشتيت الوحدة السالمية، والمؤامرة لإسقاط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، " فأهل المغرب الأقصى قد استقلوا عبر تاريخهم، بنظامهم الخالفي المتميز"

- **العنصر الثاني**: الاستعمار وأضرب عدوانه، الجزائر وحدها قتل فيها مليون وخمسمائة ألف، والمغرب عشرات الآلالف من الموتى، وتونس، وليبيا، ومصر، والهند.

- **العنصر الثالث**: إسرائيل، باعتبارها زرعا غريبا، حيث فَسَلَت كُرها في المنطقة.

- **العنصر الرابع**: المعايير المزدوجة؛ حين تكون العراق، أو إيران، فإن العالم يقوم ولا يقعد، وحين تكون إسرائيل فلا أحد يتحرك.

- **العنصر الخامس**: الإهانة التي يتعرض لها المسلمون في وسائل الإعلام الغربية السمعية، والبصرية، والمكتوبة، والإلكترونية.

- **العنصر السادس**: الكوكتيل العراقي، الأفغاني، البوسني، البورمي، الوسط الإفريقي إلى غير ذلك.

- **العنصر السابع**: السطو على ثروات العالمين العربي والإسلامي .

- **العنصر الثامن** : الغزو الفكري، والقيمي، والسلوكي، الذي يستهدف الاستلحاق والاستتباع، مما يولد لغة الانتفاض، وهذا يمكن من هذه القدرة على الاستقطاب، وعلى الاستيعاب، والاستتباع للشباب.

- **العنصر التاسع**: تحريف الجغرافيا والتاريخ.

- **العنصر العاشر**: حرق المصحف الشريف، وسب النبي "ﷺ" .

وهي عناصر لا ينبغي إغفال تناولها بالتفكيك، وبالجواب، وبذل الأجوبة الشافية والكافية، وإلا فإنه سوف يتم الاستمرار في تجييرها لصالح دعاة التمزع، والتدابر، والتشظية، والتنازع، حري بالذكر أن هذه العناصر لا تساق مجتمعة، وإنما تم جردها من خلال الرجوع إلى كتابات الجماعات المتطرفة، وأشرطتهم ومواقعهم، ومختلف المنصات التي يبثون من خلالها خطابهم. ولا شك أنها عناصر وجراحات فيها جانب من الصواب، ويحتاج المنتظم الدولي والأممي إلى مقاربة علاجية لها فيما يمكن أن يكون أشبه بحركة إنصاف ومصالحة دولية، ينجم عنها طي الماضي المؤلم، والشروع في مرحلة عيش مشترك، تنبني على التعارف والتعاون، للإسهام في تجويد الحياة على ظهر مسكننا الموحد كوكب الأرض، وهذا، وكما لا يخفى ورش حضاري يحتاج إلى غير قليل من الجهد المستبصر." [1].

(١) في تفكيك خطاب التطرف ، د.أحمد عبادي- ص ١٢-١٣-١٤.

وهذه الجراحات العشرة لا شك أنها هي الأكثر حضورا في أذهان جماعة الإخوان وغيرها من الكيانات التي تجعل هذه الجراح جسرا للوصول إلى أهدافها حتى ولو حسنت نواياها، إلا أنها في نهاية المطاف تصدم نفسها وأتباعها بما لا يُحمد عقباه كما أثبت الواقع ذلك في بلدان عديدة، وأدت هذه الأمور إلى تفرع كيانات عن كل كيان، وصار كل كيان يدعو إلى نفسه ويلعن غيره، كل حزب بما لديهم فرحون، وما حصل في سوريا وغيرها من البلاد ليس ببعيد عنا!

وقد تناول الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله أسباب ظاهرة الصدام السياسي بين الجماعات وبين الأنظمة وعقد مبحثًا عن: الحركة الإسلامية المعاصرة ونفسية الصدام السياسي في كتابه "البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي" ، فقد وضع يده في كتابه على بعض الأسباب الهامة التي كان الصدام سببها، وقد حصرها في عدة أسباب ، متسائلا: " إذا كان الدين - من حيث هو نصوص وتشريع - لا يعير للعمل السياسي في إطار التعبد- وإنما الدين تعبد – إلا هامشًا تبعيا غير أصيل، فكيف (تسييس) العمل الإسلامي المعاصر في كثير من صوره، حتى كانت له ردود أفعال ذات طابع عنيف، على شاكلة (العنف الثوري) الوارد في الأدبيات الماركسية؟

إن تساؤلنا هذا ليس بمعنى استشكال كون العمل الإسلامي قد انخرط في العمل السياسي، وصار له وجود على الساحة الانتخابية، أو – في بعض الأحيان

– حتى على المستوى الإداري للدولة، في هذا البلد أو ذاك، وإنما استشكالنا مبني على أنه يعتمد على العمل السياسي هدفًا وغايةً حتى صار رهانه – كل رهانه – على (الحل السياسي)! ثم بعد ذلك يكون مستعدا للانخراط في العنف الثوري سياسيا أولًا، ثم فعليًا فيما بعد، لأن الفكر الثوري هو الذي يصنع نفسية العمل الثوري، والقابلية لرد الفعل العنيف بصورة أو بأخرى كلما توفرت الظروف العاملة لرد فعل ما "[1] .

وبناء على ما سبق فإننا في حقيقة الأمر أمام عدة إشكاليات واجهت التيارات الدينية، لم يستطيعوا أن يتعاملوا معها كما ينبغي لعدم قراءة الواقع جيدا، وكيفية التعامل مع المستجدات والمتغيرات، فتم طرح إحياء فكرة الخلافة والعمل على استعادتها رغم أن العلماء بعد محاولتهم أدركوا استحالة هذا الأمر، وكان الأولى أن تكون هناك حلول أخرى تناسب الواقع المعيش، وهذا ما لم تفعله هذه التيارات التي غفلت عن الجهود التي حاولها العلماء كما ذكرنا سابقا إلا أن الواقع كان أقوى من حلم عودة الخلافة، ونتج عن العمل لإحياء هذه الفكرة الصدام مع الأنظمة الحاكمة التي بيدها أن تعيد الخلافة مرة أخرى بزعمهم، وفي حقيقة الأمر كان الواقع أقوى من الأنظمة نفسها، هذه الإشكاليات والمشكلات التي نتجت عن التشبث بأفكار بعينها

(١) البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي – فريد الأنصاري – ط ٢ –دار السلام – ص ١٣٣، ١٣٤.

استطاع الغرب أن يستغلها، وأن يستغل الاضطرابات والقلاقل والفتن التي تحدث في الوطن العربي لصالحه على مدى العقود السابقة من أجل ألا تستقر البلاد العربية والإسلامية، وقد ألمح الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – رحمه الله – إلى هذا الأمر في كتابه " هذه مشكلاتنا " قائلا : " ومن المؤسف أن الغرب الذي أعلن في السنوات الأخيرة، حربه ضد الإسلام، قد درس هذا الواقع المؤلم، وأمسك بهذه المشكلة القاتلة ورقةً رابحة يحاول أن يلعب بها في كل صِقْع. وها هو ذا ينفخ في نيران هذا الضِّرام ما وسع ذلك؛ وإنه ليشعر بنشوة ما مثلها نشوة، أنْ رأى المناخ الإسلامي أمامه صالحاً ومهيأً لضرب الإسلام بمن يسمون أنفسهم جنوداً للإسلام!.، نشرت مجلة (foreign affairs) الصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية ولسان حالها، في شهر تشرين الثاني من عام (١٩٩٢م) مقالاً عن خطر الإسلام على العالم الغربي، والسبل التي يجب أن تتخذ لشل فاعليته والقضاء على خطره، والسبيل -فيما صرح به كاتب المقال- هو تقطيع جسور الثِّقة بين الدول العربية خاصة والإسلامية عامة، للقضاء على بقايا ما قد يشيع بينها من روح التعاون والتضامن، ثم استثارة أسباب الاضطرابات والقلاقل داخل كل منها على حدة، والاستفادة مما هو جارٍ الآن من خروج كثير من الجماعات الإسلامية على حكامها، وتألُّب حُكَّامِهم عليهم. وبذلك تتمزق فاعلية الإسلام في ما بينهم عن طريق التآكل الذاتي، وتبتعد

فرص الاستقرار التي هي الأساس الذي لا بُدَّ منه للنمو الاقتصادي ولاستغلال ما قد تملكه من قدرات وثروات!.، ومصيبة المصائب في نظري أن أجد -بعد هذا الحق الذي لا يتيه عاقل عن تبينه ورؤيته- من يضيق ذرعاً بهذا الذي أقول، ويتمنى أن أشغل نفسي وقرائي بأي موضوع آخر نتسلى به!.، ولكن قل لي: كيف يتأَتَّى أن يكون الإنسان مسلماً صادقاً مع الله في إسلامه، ثم يرى هذا الخطأ القتّال الذي انجرف فيه بعض الإخوة باسم الإسلام، ثم يرى بعينه أثره السريع في شلِّ فاعلية الإسلام، وهدْرِ كلِّ مُكتسبات ما سميناه يوماً ما بالصحوة الإسلامية، ثم يرى ويسمع خطط الأيدي الخفية التي تتَّجِه مسرعة لاستغلال هذا الخطأ واستثماره، ثم يُعْرِض عن ذلك كلِّه، ساكتاً غير مبالٍ بشيءٍ من وارد الأمر أو صادره أو نتائجه المخفية المقبلة؟ بل قل لي: كيف يتأَتَّى منك -وأنت مسلمٌ صادقٌ مع الله- أن تجد أصحاب الخطط الخفية يستغلُّون هذا الخطأ ويستثمرونه لحسابهم، ثم لا ينهضك إسلامك لسعيٍ ما إلى إصلاح هذا الخطأ ؟ (١)

(١) هذه مشكلاتنا ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ط : دار الفكر ص ٧٧-٧٨-٧٩ .

المطلب الثاني : تكونّ المنطلق عند حسن البنا وأثره على جماعة الإخوان (الإمامة عند البنا ومناقشتها)

- مناقشة البنا حول مسألة « الإمامة - التي هي بمعنى الحكم - وبيان مخالفته لما قرره أهل السنة:

فكرة إقامة الدولة الإسلامية فكرة راودت العقل الجمعي للأمة الإسلامية، وكان سقوط الخلافة كما ذكرنا صدمة لم تكد تستوعبها الأمة من شدة هول الصدمة .

ونجد في المقابل أن بعض التيارات الإسلامية -وعلى رأسهم جماعة الإخوان- نهجت نهجًا آخر حيث جعلوا من فكرة إقامة الدولة والتمكين شعارات يرددونها ليل نهار بدون توجيه علمي وفكري صحيح؛ حتى سرت في وجدانهم على هذا النحو؛ حيث انطلق الإخوان في كل الميادين ينادون بضرورة التمكين للدين ، وهذا لايكون إلا بعودة الخلافة التي لا تتحقق إلا بعد أستاذيةالعالم حتى ولو كان هذا على حساب الصدام مع الأنظمة والحكومات ، وهو ما صرح به البنا في مذكراته حيث قال : سننتقل من خير الدعوة العامة إلى خير الدعوة الخاصة، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال

والأعمال، وسنتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد، وزعمائه، ووزرائه، وحكامه، وشيوخه، ونوابه، وأحزابه، وسندعوهم إلى مناهجنا، ونضع بين أيديهم برنامجنا، وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم بل زعيم الأقطار الإسلامية في طريق الإسلام في جرأة لا تردد معها، وفي وضوح لا لبس فيه، ومن غير مواربة أو مداورة، فإن الوقت لا يتسع للمداورات، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجأوا إلى المواربة، والروغان، وتستروا بالأعذار الواهية، والحجج المردودة، فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب، أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام، ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين (١) .

وقد ترتب على هذه الفكرة في عصرنا الحديث الذي حصل فيه من المستجدات والمتغيرات ماحصل من الوقوف أمام الحكومات ومعاداتهم، وذلك لأن فكرة الحكم فكرة متجذرة في فكر الإخوان وأدبياته يوم أن أعلنها حسن البنا في رسائله قائلا: إن «الحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد

(١) مذكرات الدعوة والداعية - حسن البنا - ط : دار النشر والتوزيع الاسلامية ص 104.

والأصول، لا من الفقهيات والفروع»[1] إلى أن قال: « فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف»[2].

وبناء على هذا الكلام تبنى الإخوان كلام البنا وعملوا على تنفيذه والسعي إليه بشتى الوسائل وإن خالف كلام البنا جماهير علماء المسلمين عبر الزمان ، وهذا االكلام توارد عليه فلان وفلان حتى تحول إلى ثقافة عامة، وهذه مشكلة في كل الجماعات، أنهم يأخذون كلام صاحب التنظير ولا يراجعون كلامه، وهذا سببه الضعف العلمي، وغياب ثقافة التوثيق، في مسألة مصيرية كهذه كان ينبغي أن يتأكدوا منها .

وانطلقوا مؤيدين هذه المسألة من غير بحث وتفتيش، وهذا الذي ذكره حسن البنا رحمه الله مخالف لكلام أهل العلم، إذْ أنَّ مسألةَ الحكم أو الإمامة من الفروع وليست من الأصول كما قال البنا، والشيعة الإمامية هم الذين يقولون بأن مسألة الإمامة من أصول الدين وإن اختلف معنى الإمامة عند الشيعة وعند أهل السنة، ...إلا أن كلام حسن البنا تقابل وتقاطع مع فكر الشيعة في أن الإمامة التي هي بمعنى الحكم والرياسة من العقائد والأصول، وبناء على هذا فإن الأمر يترتب عليه إيمان أو كفر وإن لم يصرح البنا بكلمة الكفر إلا أن لازم كلامه يقتضي ذلك في مسألة فرعية وليست عقائدية، ولكن العجيب في هذا الأمر أن البنا يذكر أن كتب الفقه ذكرت

(1) مجموعة رسائل حسن البنا ،ص 170ط: دار الشهاب .

(( ) -المرجع السابق، ص 171.

أن مسألة الحكم من العقائد والأصول، فهل يوجد هذا الكلام في كتبنا الفقهية حقا أم أن الأمر اختلط عليه، ومعلوم أن كتب الفقه غير كتب أصول الدين، وكيف يكون في كتبنا الفقهية ويكون من الأصول والعقائد !، نعم لقد ذكرت كتب الفقه ما يتعلق بأحكام النظام السياسي كالبيعة، وأحكام الحرب، والصلح، لكنها لم تذكر أن مسألة الحكم من العقائد والأصول، فهل كان منشأ الوهم عند البنا هو أن العلماء ذكروا في كتب الأحكام السلطانية وغيرها وجوب نصب الإمام فظن أنها من العقائد والأصول، فلو كان هذا منشأ الوهم فذلك شئ أعجب، إذْ أنَّ كتب الأحكام السلطانية التي تكلمت عن وجوب نصب الإمام ذكرت أن الإمامة من الفروع وليست من الأصول، ويذكر الإمام الجويني في كتابه «غِياثُ الأُمَم في الْتِيَاثِ الظُّلَم» في الباب الأول من الكتاب معنى الإمامة ووجوب نصب الأئمة وقادة الأمة أن « الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا، مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية ..»[1] ثم يقول: « فنصب الإمام عند الإمكان واجب »[2]، وتأمل كلمة الإمام الجويني «عند الإمكان»، وهذا واضح في أنها ليست من الأصول والعقائد، ويقول الجويني في الباب الثالث من نفس الكتاب:

« وليست الإمامة من قواعد العقائد، بل هي ولاية تامة، وعبارة معظم القول في الولاة والولايات العامة والخاصة مظنونة في محل التأَخِّي والتحري، ومن وفقه الله تعالى وتقدس للوقوف على هذه الأسطر، واتخذها في المُعْوِصَات

١ – "غِياثُ الأُمَم في الْتِيَاثِ الظُّلَم" لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني– تحقيق ودراسة د. عبد العظيم الديب– ط٢: مكتبة إمام الحرمين ١٤٠١هـ – ص ٢٢

٢ – نفس المصدر السابق – ص ٢٢

مآبه ومثابه، لم يَعْتَصْ عليه مُعضل، ولم يخفِ عليه مُشْكل، وسرد المقصود على موجَب الصواب بأجمعه، ووضع كلَّ معلوم ومظنون في موضعه وموقعه» ، ونَعرِض في هذا الصدد أيضا كلام أهل العلم من علماء أهل السنة عن مسألة الإمامة وهو كلام يعضد ما ذكره الإمام الجويني رحمه الله :

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد : « اعلم أنّ النظر في الإمامة أيضاً ليس من المهمّات ، وليس أيضاً من فنّ المعقولات، بل من الفقهيّات ، ثمّ إنّها مثار للتعصبّات ، والمُعْرِض عن الخوض فيها ، أسلم من الخائض فيها، وإن أصاب ، فكيف إذا أخطأ ؟، ولكن إذ جرى الرسم باختتام المعتقدات به، أردنا أن نسلكَ المنهج المعتاد، فإنّ فِطام القلوب عن المنهج، المخالف للمألوف ، شديد النّفار « [1]

وقال الآمدي في كتابه غاية المرام في علم الكلام : « واعلم أنَّ الكلام في الإمامة ليس من أُصول الديانات ، ولا من الأُمور اللابُدِّيَّات ، بحيثُ لا يسع المكلَّف الإعراض عنها والجهل بها ، بل لَعَمري إنّ المعرض عنها لأَرجى من الواغل فيها ؛ فإنّها قَلّما تنفك عن التعصّب والأهواء ، وإثارة الفتن والشحناء ، والرجم بالغيب في حقّ الأئمّة والسَّلَف بالإزراء ، وهذا مع كون الخائض فيها سالكاً سبيل التحقيق ، فكيف إذا كان خارجاً عن سواء الطريق. لكن لمَّا جرت العادة بذكرها في أواخر كتب المتكلّمين ، والإبانة عن تحقيقها في

(1) الاقتصاد في الاعتقاد ، الإمام الغزالي ط : دار المنهاج ، ص 90).

عامّة مصنّفات الأُصوليين ، لم نَرَ من الصواب خَرْق العادة بِتَرْك ذكرِها في هذا الكتاب « [1]

وقال الإيجي في كتابه المواقف : « وهي عندنا من الفروع ، وإنّما ذكرناها في علم الكلام تأسيّاً بمن قبلنا « [2]

وقال التفتازاني في شرح المقاصد : « لا نزاع في أنّ مباحث الإمامة ، بعلم الفروع أَليق ، لرجوعها إلى أنّ القيام بالإمامة ، ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة ، من فروض الكفايات ، وهي أُمور كليّة تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية ، لا ينتظم الأمر إلّا بحصولها ، فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كلّ أحد. ولا خفاء في أنّ ذلك من الأحكام العمليّة دون الاعتقاديّة « [3]

ويقول الإمام الباجوري صاحب كتاب تحفة المريد:" فليس نصب الإمام ركنًا يُعتقد في قواعد الدين المُجْمَع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة وصوم رمضان والحج، لأنه ليس معلوما من الدين بالضرورة، فلا يكفر منكره." [4] ويبين الإمام إبراهيم اللقاني في شرح جوهرته سبب أن الإمامة لم تُذكر في الفقهيات قائلا : "تقدم أن مباحث الإمامة العظمى حقُّها أن تُذكر في الفقهيات، فلمّا ذكرها في علم العقائد خشي أن يتوهم المبتدئ المخاطب بهذه المقدمة بالذات أنَّ نصب الإمام من جملة المعتقدات، فلذا نفى أن يكون أحد القواعد المجمع عليها المنقولة

(١) غاية المرام في علم الكلام : ص 363 ، لسيف الدين الآمدي ، (٥٥١ - ٦٣١ هـ)، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي 1391 -1971.

(٢) شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة 756هـ ، تأليف السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة 816 هـ ، ج 7و8، ط : دار الكتب العلمية – بيروت، ص 376.

(٣) شرح المقاصد-جـ)٠ – ص ٧١) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ط: مطبعة محرم افندي سنه١٩١٧

(٤) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ' للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، ص ٣٢٧ تحقيق : د. علي جمعة محمد – دار السلام – الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

بالتواتر كالشهادتين والصلاة والزكاة)[1].

وهذه النصوص الصريحة لعلماء أهل السنة تؤكد على أن الإمامة من الفروع وليست من الأصول، وبهذا يتضح لك الخلط الذي وقع فيه حسن البنا حينما جعلها من الأصول، فإذا كان منشأ الوهم هو ما ذكرناه فذلك أمر يدفعنا إلى التعجب أم أن الأمر اختلط عليه لأنه رأى أن كلام العلماء عن الإمامة قد ذكروه في باب مباحث علم الكلام فظن أنه من الأصول !، فما السبب في إدخال باب الإمامة في كتب أصول الدين ؟

والجواب عن هذا أن هناك مباحث عديدة ليست من أصول الدين كمسألة الصلاة خلف كل بر وفاجر، والمسح على الخفين ونحوهما ذكرها الأئمة في كتب أصول الدين مع كونها من الفروع، وإنما فعل العلماء ذلك لأن بعض الفرق أنكرتها أو جعلتها من الأصول، وإنكار المسح على الخفين صار إنكارا لما هو معلوم من الدين بالضرورة مع كونه من الفروع، فذكرها العلماء في مباحث الكلام للرد على من ينكرها، وكذلك الحال في مبحث الإمامة حيث جعلها بعض الفرق الخارجة عن أهل السنة من الأصول، فكتب علم الكلام تشمل أصول العقائد وفروعها وتشمل كذلك بعض الموضوعات التي ليست من أصول الدين عند متكلمي أهل السنة لكنها من أصول الدين عند غيرهم، وعلماء أصول الدين يتميزون بالاستقراء، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا تناولوها، ومن هنا يتضح لنا أن هذا الخلط الذي وقع فيه البنا رحمه الله، نتيجة أنه لم

(١) إتحاف المريد بجوهرة التوحيد للقاني عبدالسلام بن إبراهيم– ص ١٦٠–١٦١ ط : مصطفي الحلبي – القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٨ م

يتقن هذه الفنون من العلوم على شيخ عارف فخلط بين الفروع والعقائد، ويترتب على ذلك أنه :

١- لم يدرك منهج علماء الكلام في التصنيف .

٢- لم يفرق بين المسائل التي هي من أصول الدين والمسائل التي ليست منه وإن كانت مذكورة في كتب أصول العقائد لأغراض يعرفها المتخصصون.

وهناك إحتمال آخر هو أن البنا جعل مسألة الحكم من الأصول متأثراً بالشيعة الإمامية في هذا الأمر، وعلى كل حال فهو مردود عليه في كل الاحتمالات السابقة التي ذكرناها ، وقد ذكر الدكتور القرضاوي في كتابه: «من فقه الدولة في الإسلام» أن العلماء ذكروا الإمامة والخلافة في كتب الأصول كما ذكروها في كتب الفقه من غير أن يبين السبب الذي ذكرناه قبل هذه السطور!، فيقول في هذا : « ولهذا رأينا شؤون الإمامة تذكر في كتب العقائد وأصول الدين، كما رأيناها تُذكر في كتب الفقه»[1] ، وعدم تبيين السبب من الدكتور القرضاوي في أن الإمامة ذكرها العلماء في كتب العقائد يجعل المسألة لدى القارئ موهمة،

(١) من فقه الدولة في الإسلام- د يوسف القرضاوي- ط: دار الشروق- ط ٤: لسنة ١٤٢٥ -٢٠٠٥ ص- ١٧

وكان ينبغي أن يبين السبب الذي ذكرناه في السطور الماضية، وأن يؤكد على كلام أهل العلم أن الإمامة من الفروع وليست من الأصول، ولذلك يقول الإمام الإيجي كما ذكرنا سابقا[1]! « وهي عندنا من الفروع ، وإنّما ذكرناها في علم الكلام تأسيّاً بمن قبلنا »[2] ، ويقول التفتازاني: « ولا خفاء في أنّ ذلك من الأحكام العمليّة دون الاعتقاديّة » ، وتأمل كلام الآمدي وهو يذكر سبب ذكر الإمامة في كتب المتكلمين فيقول : « لكن لمَّا جرت العادة بذكرها في أواخر كتب المتكلّمين ، والإبانة عن تحقيقها في عامّة مصنّفات الأُصوليين ، لم نَرَ من الصواب خَرْق العادة بِتَرْك ذكرِها في هذا الكتاب[3]»، فإذا كان الدكتور القرضاوي يرى أن مسألة الإمامة تذكر في كتب الفقـــه فإن كلامه جاء مبهماً ، لأن كتب الفقه لم تتوسع في مسألة الإمامة ، وعلى كل حال فالفقهاء يعرفون تمام المعرفة أن الإمامة من الفروع وليست من الأصول وقد أفردها العلماء بما يسمى بكتب الأحكام السلطانية ، ويقول الإمام الجويني في كتابه :

" نهاية المطلق في دراية المذهب " :

(١) شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تأليف السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ، ج ٧و٨، ط : دار الكتب العلمية - بيروت، ص ٣٧٦ .

(٢) شرح المقاصد-جـ٢٠- ص ٢٧١ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ط: مطبعة محرم افندي سنه ١٩١٧.

(٣) غاية المرام في علم الكلام : ص ٦ ، لسيف الدين الآمدي ، (٥٥ ـ ٦ هـ)، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٩١-١٩٧١.

"فإذا تعلّق الكلام بمحض أحكام الإمامة، فالأولى الانكفاف.....وأجمع موضوع لنا في أحكام الإمامة، مع الإيجاز والتنصيص على غوامض أحكام الأئمة الكتاب المترجم (بالغياثي)[1] ثم يقول الإمام الجويني في نفس الكتاب

«والمنصب الأعلى من صاحب الولاية الإمامةُ والزعامةُ العامة، وقد خلا هذا المجموع الموضوع للاحتواء على جميع القواعد، ومعظم الفروع عن مبالغ عظيمة في أحكامِ الولايات؛ لانقباضنا عن الخوض في الإمامة؛ فإن الفقهاء لم يذكروها، وألموا بأطرافٍ منها على نهاية التقصير، وشرطُ خَوْضنا في فنٍّ أن نستتمه أو نوفي على التمام فيه، فمن أراد أحكام الإمامة، فليطلبها من مجموعاتنا فيها»[2]

ويعلق الدكتور عبد العظيم الديب رحمه الله على كلام الإمام الجويني أثناء

١ - نهاية المطلب في دراية المذهب للإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)- تحقيق: د.عبد العظيم محمود الدّيب - ط: دار المنهاج الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م-ص٣٩٩- ج ١٧

٢ - نفس المصدر السابق – ص ٤٥٨- ج ١٨ ، يقصد الإمام الجويني كتابه الغياثيالمعروف بـ"غياث الأمم في التياث الظلم) .

تحقيقه لكتابه قائلا: « يعتذر عن إخلاء هذا الكتاب من الكلام عن الإمامة، بأنه لا يريد أن ينحو نحو الفقهاء، فيذكر منها أطرافاً لا تفي ولا تكفي، فهذا ليس من دأبه. ومن ثَمّ أحال على كتابه الذي استتم فيه الحديث عن[1] الإمامة والزعامة. ويعني به كتابه (الغياثي= غياث الأمم في التياث الظلم)

ولا نفهم من كلام العلماء عن الإمامة أنها من الفروع تقليلا لشأنها، فهي تحفظ لنا الدولة، وتحفظ لنا الحدود، وفي هذا يقول علماء أهل السنة "إن الإمامة فرض، واجب على الأمة، لأجل إقامة الإمام، ينصب لهم القضاة والأمناء ويضبط ثغورهم، ويُغزي جيوشهم، ويقسم الفيء بينهم، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم."[2]

ويقول الإمام بدر الدين بن جماعة في كتابه «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام» :

«وَيجب نصب إِمَام بحراسة الدّين، وسياسة أُمُور الْمُسلمين، وكف أَيدي الْمُعْتَدِينَ، وإنصاف المظلومين من الظَّالِمين، وَيَأْخُذ الْحُقُوق من مواقعها، ويضعها جمعا وصرفاً فِي موَاضعهَا، فَإِن بذلك صَلَاح الْبِلَاد وَأمن الْعباد، وَقطع مواد الْفساد، لِأَن الْخلق لَا تصلح أَحْوَالهم إِلَّا بسُلْطَان يقوم بسياستهم، ويتجرد لحراستهم؛ وَلذَلِك قَالَ بعض الْحُكَمَاء: جور السُّلْطَان أَرْبَعِينَ سنة خير من رعية مُهْملَة سَاعَة وَاحِدَة" [3]

١- نفس المصدر السابق - ص ٤٥٨ - ج١٨

٢-الفرق بين الفرق، للإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي المتوفى (٤٢٩هـ) ص٣٨٠ تحقيق محمد فتحي النادي،- دار السلام- مصر- الطبعة الأولى ٢٠١٠

٣ - تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام – أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد - ط : دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر - قطر/ الدوحة - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م – ص ٤٨- ٤٩

ويقول الإمام الماوردي عن هذا المعنى الذي أشرنا إليه:

"وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع"[1] ، ووجوب نصب الإمام هنا يتعلق بالدولة لا بالسلطة، وهو وجوب كفائي لا عيني، وقد تناول هذه المسألة الدكتور صبري محمد خليل خيري، أستاذ فلسفة القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم في دراسته عن "الفكر السياسي الاسلامى السني على مستوى أصوله النظرية وقواعده التطبيقية" قائلا:

" أما الأقوال الواردة عن علماء أهل السنة عن وجوب نصب إمام فتتعلق بالدولة وليست بالسلطة ، فمفهوم الدولة أشمل من مفهوم السلطة ، ذلك أن أركان الدولة هي الشعب والأرض والسلطة، فهذه الأقوال تتعلق بالدولة كضرورة اجتماعيه، وهذا المبدأ اتفقت عليه جميع الفرق الاسلاميه ماعدا الخوارج النجدات[2]، بل اتفقت عليه جميع المذاهب السياسية في الفكر السياسي الحديث والمعاصر ماعدا المذهب الفوضوي " مذهب اللا دولة "، ويمكن التحقق من صحة ذلك ، من خلال استقراء هذه الأقوال ، ودراسة السياق الذي ورد فيه القول بوجوب نصب الإمام ، فعلى سبيل المثال يقول

١- الأحكام السلطانية للماوردي - ص ١٥ - ط : دار الحديث - القاهرة.

٢ - شرذمة من الخوارج وهم المعروفة بالنجدات كما جاء في شرح العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، للإمام تقي الدين أبي العز مظفر بن عبد الله الملقب بالمقترح ص ١٦١- ١٦٢ ط : مكتبة السنة- هولندا - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ .

الإيجي في كتابه المواقف: " نَصْبُ الإمام عندنا واجبٌ علينا سمعاً..."[1]، وقال :" إنه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت عن إمام، حتى قال أبو بكر " رضى الله عنه " في خطبته: " ألا إن محمداً قد مات، ولا بدّ لهذا الدين ممن يقوم به " ، فبادر الكل إلى قبوله، وتركوا له أهم الأشياء، وهو دفن رسول الله "ﷺ" ، ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا هذا مِنْ نَصْب إمام متّبَع في كل عصر".

فهذا النص يتحدث عن نصب الإمام في كل زمان ، وليس نصب الإمام في زمان معين، كما تفيد العبارات: " تواتر إجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت عن إمام" ، و "لم يزل الناس على ذلك مِنْ نَصْب إمام متّبَع في كل عصر".

نصب الإمام فرض كفاية لا فرض عين اتساقا مع ما سبق ، من تقرير علماء أهل السنة أن الإمامة – بمعنى السلطة – هي فرع من فروع الدين وليست أصل من أصوله ، وأن قولهم بوجوب نصب إمام يتصل بالدولة وضرورتها الاجتماعية، ولا يتعلق بالسلطة، فقد قرر علماء أهل السنة أن الوجوب هنا هو وجوب كفائي لا عيني، أى أن نصب الإمام فرض كفاية لا فرض عين ، يقول الماوردي في الأحكام السلطانية: " فإذا ثبت وجوبها؛ ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم، فإذا قام بها من هو من أهلها سقط فرضها على الكفاية، وإن لم يقم بها أحد خرج من الناس فريقان: أحدهما أهل

(١) المواقف. عضد الدين الإيجي – ط: دار الجيل –بيروت – ٣|٥٧٤، وما بعدها.

الاختيار حتى يختاروا إمامًا للأمة، والثاني: أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهما للإمامة، وليس على من عدا هذين الفريقين من الأمة في تأخير الإمامة حرج ولا مأثم، وإذا تميز هذان الفريقان من الأمة في فرض الإمامة وجب أن يعتبر كل فريق منهما بالشروط المعتبرة فيه"[١]، ويقول القاضي أبو يعلى في الأحكام السلطانية: " وهي فرض على الكفاية ، مخاطبا بها طائفتان من الناس، إحداهما: أهل الاجتهاد حتى يختاروا، والثانية: من يوجد فيه شرائط الإمامة حتى ينتصب أحدهم للإمامة"[٢] . ويقول الإمام النووي في روضة الطالبين: " تولي الإمامة فرض كفاية ، فإن لم يكن من يصلح إلا واحد تعين عليه ، ولزمه طلبها إن لم يبتدؤه"[٣]. هذا إذا كان الدافع له الحرص على مصلحة المسلمين ، وإلا فإن من شروط الإمام ألا يطلبها لنفسه[٤].

والعجيب أن الدكتور القرضاوي في كتابه " السياسة الشرعية" يذهب إلى أن الإمامة من الفروع ومن الأصول معا في وقت واحد !، فيقول: " الإمامة من الفروع ولكن اعتقاد وجوبه ولزومه والإيمان بالاحتكام إلى ما أنزل الله في

(١) الأحكام السلطانية للماوردي- ط: دار الحديث -القاهرة - ص ١٧

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء - ط: دار الكتب العلمية -بيروت - ص ١٩

(٣) روضة الطالبين للإمام النووي ١٠|٤٣

(٤) الفكر السياسي الإسلامى السني على مستوى أصوله النظرية وقواعده التطبيقية،- د. صبري محمد خليل- من موقعه الرسمي

https: / /drsabrikhalil.wordpress.com / ٪D٨

كتابه ومتابعة رسوله هو من الأصول يقينًا ومن صميم الإيمان" [١]

ثم ضرب الدكتور القرضاوي مثالا يستدل به على صحة كلامه فقال: " الصلاة من الفروع والاعتقاد بها من الوجوب " وهذا الذي ذكره القرضاوي يحاول به أن يشرعن لكلام حسن البنا فيما ذهب إليه في مسألة الإمامة، فمسألة الصلاة لم ينكرها أحد من الفرق.، بخلاف الإمامة التي غالى فيها الشيعة فجعلوها من الأصول فرد عليهم أهل السنة في كتب الأصول.

وهذا ما دفع الدكتور فريد الأنصاري أن يناقش كلام الشيخ القرضاوي في كتابه "البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي" قائلا: "والقرضاوي نفسه واقعٌ في هذا الإشكال إذ جمع بين الأمرين دون تبين، قال حفظه الله : الإمامة أو الحكم بما أنزل الله هو من الفروع ولكن اعتقاد وجوبه ولزومه والإيمان بالاحتكام إلى ما أنزل الله في كتابه ومتابعة رسوله هو من الأصول يقينًا ومن صميم الإيمان" ثم قال مستنتجا:" الحاكمية الإلهية جزء من عقيدة التوحيد الإسلامية "(٢)، ثم تساءل الأنصاري: " كيف يكون الأمر الواحد من الفروع ومن الأصول في الوقت نفسه ! هذا خُلف، إن المُشكل بدأ من قوله حفظه الله: " الإمامة، أو الحكم بما أنزل الله إلخ .."، فأي علاقة بين (الإمامة) (والحكم بما أنزل الله)؟ إلا أن تكون الأولى وسيلة للثانية، بينما تعبير القرضاوي ظاهر

(١) السياسة الشرعية للقرضاوي، مكتبة وهبة – القاهرة ، ص 10، وما بعدها

(٢) البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي- فريد الأنصاري- ص 117

في المرادفة بينهما وهذا هو عين الإشكال ! ذلك أن التفصيل فيه حل المُشكل، وهو أن الإمامة التي هي رياسة الدولة فرع من الفروع بإجماع كل المذاهب الفقهية والكلامية ما عدا الشيعة كما بيناه قبل، بينما لا يشك عاقل في أن الحكم بما أنزل الله هو من صميم أصول الدين فعلا، والجمع بينهما يؤدي حتما إلى الخلط بين الفروع والأصول، وإلى القول بـ(جاهلية) العالم الإسلامي المعاصر، بينما المسلمون مسلمون، هذا هو المذهب الحق ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، إلا أنهم محكمون _كرها_ بسلطة لا تتخذ الإسلام منهاجا تشريعيا للدولة، وكيف يجوز أن نسحب مذهب (الدولة) على المواطنين ؟ بل كيف يجوز أن نسحبه حتى على كثير من العاملين في الدولة، والمنخرطين في وظائفها السياسية والإدارية؟ والمسألة اعتقادية بحتة! " وإنما الإعمال بالنيات، والحق أن من لم يحكم بما أنزل الله لا يكفر إلا على فرض أنه يفعل ذلك إنكارا للدين أصلا، فإن فعل ذلك تهاونا، أو خوف من جهة أخرى أقوى منه فهذا أقصى ما يقال فيه إنه عاص لا كافر !، وإنما الكافر: المنكر، فمن أنكر حق الله في التشريع أو رفض التحاكم إلى شريعته باعتبار أنها غير صالحة لذلك، فإنما هذا فعلا يكون متمردا على الله، كما تمرد عليه من قبل إبليس اللعين "[1]

إلى أن قال: " والقارئ لنصوص المودودي وسيد، وكذا ما ذكرناه عن

(١) البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي- فريد الأنصاري- ص ١١٧-١١٨

القرضاوي من مرادفة بين الإمامة، والحكم بما أنزل الله، يدرك أنهم جميعا لا يفرقون بين المفهومين في استعمال كلمة (حكم) أو (حاكمية)، وذلك هو مبدأ الإشكال "[1]، وسنتطرق إلى الكلام عن مسألة الحاكمية في السطور القادمة من هذا البحث حتى يتضح لنا خطورة توظيف المصطلحات في غير محلها.

وبناء على أن فكرة الحكم هي من الأصول عند الإخوان وليست من الفروع خلافا لما ذكره علماء أهل السنة، ظهر مصطلح الحاكمية الذي انطلق منه سيد قطب لتكفير المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة!!، وسنناقش هذا المصطلح في السطور القادمة، وكيف كان أثره بعد ذلك على أجيال أساءت توظيف المصطلحات.

(١) المرجع السابق ص ١١٩

المطلب الثالث : علاقة الحاكمية في تكوين منطلق التمكين (الحاكمية عند سيد قطب وأثرها على التمكين)

من المنطلقات التي ينطلق منها صاحب فكرة التمكين مسألة الحاكمية، وهذه المسألة أيضا من المسائل التي شَغَلت حيزا كبيرا في عصرنا الحديث، وأبرز من فجرا هذه المسألة سيد قطب وأبو الأعلى المودودي ، ومسألة الحاكمية من أخطر القضايا التي بسببها حصل البلاء العظيم في الأمة الإسلامية، وقد أسس لها سيد قطب في "الظلال" و"المعالم"، وكانت نتيجة الحكم على المجتمعات المسلمة بأنها تدخل مع المجتمعات الجاهلية ظهور فكرة الحاكمية، ونجد هذا مسطورا واضحا في كتابه: " معالم في الطريق " وهو يتساءل: " ولكن ما هو المجتمع الجاهلي؟ ، وما هو منهج الإسلام في مواجهته؟ "[1] ويجيب عن هذا السؤال في المعالم فيقول : " إن المجتمع الجاهلي هو كل المجتمع غير المسلم ، وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا: إنه هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده "متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي، وفي الشعائر التعبدية، وفي الشرائع القانونية، وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار (المجتمع الجاهلي) جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا " [2]

(١) معالم في الطريق، سيد قطب – ص ١٢٤ – ط : دار الحدود ٢٠١٢ – تقديم عصام عبد الفتاح

(٢) المصدر السابق ١٢٤ – ١٢٥

ثم يوضح ما هي المجتمعات التي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي فيقول: " تدخل فيه المجتمعات الشيوعية .. ، وتدخل فيه المجتمعات الوثنية .. ، وتدخل فيه المجتمعات اليهودية والنصرانية .. ، وأخيرا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة "[1]

وقد يقول قائل إن هذه الألفاظ بنصها غير حاضرة عند كثير من أفراد الجماعة، نعم قد تكون مثل هذه الألفاظ التي سطرها قطب غير حاضرة عند البعض، لكن فكرة الصدام حاضرة تزج بأبنائها لأجل فكرة التمكين التي لا تكون إلا بإزالة هذه المجتمعلت الجاهلية التي تزعم أنها مسلمة فهي مجتمعات لا تعرف حقيقة لا إله إلا الله، ولا تدين بالعبودية الخالصة لله عز وجل كما يقرر قطب في كتبه !! ، وفي كلام قطب عن المجتمعات الجاهلية التي تزعم أنها مسلمة يبرر لنفسه لماذا أدخلها في المجتمعات الجاهلية ! فيقول كلاما خطيرا يؤسس به لمسألة الحاكمية، ويذهب للاستدلال على تأييد فكرته بالآيات القرآنية فيقول: " وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضا، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها. فهي - وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله- تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها

(١) المرجع السابق باختصار ص ١٢٥- ١٢٦- ١٢٨.

وقيمها، وموازينها، وعاداتها وتقاليدها...وكل مقومات حياتها تقريبا ! والله سبحانه وتعالى يقول: " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّه فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"(١)، إلى أن يقول: " وهذه المجتمعات بعضها يُعلن صراحة " علمانيته " وعدم علاقته بالدين أصلا ، وبعضها يعلن أنه " يحترم الدين " ولكنه يخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلا ، ويقول : إنه ينكر " الغيبية " ويقيم نظامه على " العلمية " باعتبار أن العلمية تناقض الغيبية، وهو زعم جاهل لا يقول به إلا الجهال، وبعضها يجعل الحاكمية الفعلية لغير الله ويشرع ما يشاء ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه : هذه شريعة الله، . . وكلها سواء في أنها لا تقوم على العبودية لله وحده، وإذا تعين هذا ، فإن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة : إنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها وشرعيتها في اعتباره !" (٢)

ويتبين لنا من الكلام السابق لسيد قطب أن عموم الناس يدخلون تحت حكم الجاهلية فهو" يُدخل في مفهومه للمجتمع عموم الناس، ويجمع الكل- النظام السياسي والشعب-تحت حكم الجاهلية "(٣)

لقد جعل سيد قطب مسألة الحاكمية من أصول الدين كما حصل مع

(١) معالم في الطريق – سيد قطب ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي،- فريد الأنصاري ص ١١٦.

البنا في مسألة الإمامة فيما ذكرناه سابقا، فوقع في الخلط بين الاعتقاديات والفروع، وعن هذا قال الدكتور حسن لحسانة في كتابه: "الحاكمية في الفكر الإسلامي": " وما يُلاحظ على سيد قطب أنه بالغ في تحديده للأبعاد العقدية للحاكمية، حيث بلوره في إطار مفهوم توحيدي خالص، فللمتأمل في ما كتبه سيد قطب يمكن أن يلاحظ شيئا اسمه " توحيد الحاكمية "، والحقيقة أن إدخال الحاكمية ضمن المفاهيم العقدية الخالصة، والمصطلحات التوحيدية، له خطره في تطبيقاته على مستوى الواقع، لأن ارتباط الحاكمية بقضايا أصول الدين يجعل الأحكام التي تُخَرَّج عليه لها تعلق بالكفر والإيمان، لكن الأمر يختلف عند إبقاء هذا المفهوم ضمن المفاهيم الفقهية والسياسية، مع الإقرار بالأبعاد العقدية التي يحملها هذا المفهوم." (١)

-لذلك لا بد من ضرورة فهم المصطلحات على وجهها الصحيح حتى لا يقع الاضطراب والخلل في توظيف واستعمال هذه المصطلحات، وقد أشار المؤلف إلى ضرورة الرؤية التكاملية لمفهوم الحاكمية حيث قال: " إن المنهجية العلمية تقتضي إعمال الدقة في توظيف المفاهيم واستعمال المصطلحات، وهذه المنهجية تدفعنا إلى تجنب أساليب الإطلاق والعموم، وعدم الاستناد إلى النظرة الأحادية في تقرير الأحكام، التي قد تؤدي بنا إلى نوع من الخلط واللبس

(١) الحاكمية في الفكر الإسلامي – د. حسن لحسانة- سلسلة كتاب الأمة – ص ١٩٣- العدد ١١٨ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ

وتسوق إلى نوع آخر من الترسبات والتراكمات الخاطئة التي تتحول بفعل جملة من العوامل والأسباب إلى حقائق مسلمة وقواعد متبعة، من الصعب تجاوزها واقعًا أو إهمالها فكرًا، ومن هذا المنزلق يقع المفكرون الإسلاميون في جدليات علمية واسعة، ومخاطبات فكرية مفرغة، سببها سوء توظيف المصطلحات وعدم مراعاة ما يحيط بها من عموم أو خصوص أو إطلاق أو تقييد، ومن هذا المنطلق فإن الحاكمية بوصفها مصطلحًا متداولًا في الفكر الإسلامي المعاصر لا تطلق بإطلاق واحد لتنتج فهمًا أحاديًا، كما أنه ليس لها بعد واحد بحيث تفرز منهاجًا واحدًا لا ثاني له، بقدر ما أن الحاكمية مفهوم ثلاثي الأقطاب بحسب الجهة التي يعود إليها، ومنه فإن مراعاة انفكاك الجهة لمفهوم الحاكمية يعد مفصلًا دقيقًا يجب إعماله عند الحديث عنها، فالحاكمية قد يراد بها حاكمية الله (الحاكمية الإلهية)، وقد يراد بها حاكمية الوحي(الحاكمية الشرعية)، وقد يراد بها حاكمية العقل (الحاكمية الإنسانية). "[1]

لذلك فإن المداخل المنهجية لتحديد مصطلح الحاكمية من الأهمية بمكان:

" أولا : فك الارتباط بين مبدأ الألوهية ومفهوم الحاكمية، ويبين فيه أن الارتباط بين مبدأ الألوهية ومبدأ الحاكمية غير تلازمي.

ثانيا: المداخل المنهجية لبحث مفهوم الحاكمية، وقد ذكر المؤلف ثلاثة مداخل منهجية لبحث مفهوم الحاكمية، حددها في المدخل العقدي والسياسي

(١) الحاكمية في الفكر الإسلامي ، ص ٦٥.

والفكري ، والذي يعنينا في بحثنا المدخل السياسي مع اعتبار أهمية المداخل الأخرى وارتباطها ببحثنا."[1]

وهذه المداخل المنهجية هي التي غابت عن سيد قطب لأن منشأ الخلل إنما يحدث بسبب القصور في فهم هذه المداخل، " كما أن للحاكمية بعدًا عقديًا فإن لها أيضًا بعدًا سياسيًا، ولكن لا ينبغي تداول مصطلح الحاكمية الإلهية وجعله ضمن المفاهيم السياسية لكي لا يحصل لبس بسحب المفاهيم العقدية إلى المفاهيم الفقهية فتختلط الأحكام التي يخرج في ضوئها، بل ينبغي تداول مصطلح حاكمية الوحي أو حاكمية الشريعة أو حاكمية قوانين التشريع الإسلامي، لأن مجال البحث في الفقه السياسي هو القوانين واللوائح والسلطات بمختلف مراتبه وأنواعه، وطبيعة الدساتير التي لها صفة السمو والعلو والسيادة والحاكمية على غيرها، بمعنى أن مجال البحث السياسي والقانوني هو سيادة النص القانوني وموقع مختلف السلطات البشرية وصلاحيتها منه، ولا ينبغي في هذه الحالة إقحام مصطلح الحاكمية الإلهية بتعلقاتها العقدية في قضايا السياسة والقانون، وإلا أضفي على النظرية السياسية لبوسا عقديا، وتحول الحديث من الفقه السياسي المعدود ضمن الفقهيات وفروع الشريعة إلى الحديث عن الفقه السياسي العقدي، وقد أكد علماؤنا المتقدمون على كون الإمامة والسياسة من فروع الشريعة لا من أصولها، .. فقضايا الإمامة والسياسة والدولة وأجهزتها

(١) نفس المصدر السابق ، - ص ٦٦- ٦٧- ٦٨.

وسلطاتها ومؤسساتها من فروع الدين لا من أصوله، وعلى هذا الأساس لا ينبغي سحب مفهوم الحاكمية الإلهية بدائرتها العقدية إلى الدائرة السياسية.أ.هـ[1]

ومن هنا ندرك خطورة استخدام المصطلحات استخداما يخرجها عما وُضعت له،

ولهذا حصل الخلط بين مسائل الأصول ومسائل الفروع كما وضحنا في بداية بحثنا !

والخوارج هم أول من وظفوا الأصول الشرعية لأغراضهم كما قال الدكتور حسن أيضا :

ولا يُفهم من الحديث عن الخوارج ومفهوم الحاكمية ارتباط هذا المفهوم شرعيا وتاريخيا بهذه الفرقة، مما قد يُفهم منه إحداث تشويه في هذا المصطلح من خلال ربطه بفرقة عرفت بالتشدد والغلو، ولكن الداعي من استحضار فكر هذه الفرقة أنهم كانوا من أوائل من وظفوا الأصول الشرعية التي أنبتت عليها فكرة الحاكمية في الفكر الإسلامي، واستطاعوا بذلك توجيه بعض الأحداث السياسية لصالحهم.أ.هـ [2]

وبناء على ما سبق تأثر قطاع عريض من جماعة الإخوان وغيرهم بفكرة الحاكمية، وظل صداها يتردد في مجالس الإخوان لاهتمامهم بتراث سيد قطب

(١) الحاكمية في الفكر الإسلامي ، ص ٧٠-٧١-٧٢ - باختصار.

(٢) المرجع السابق : ص ٩٩، ١٠٠.

من غير توجيه النقد إلى ما كتبه في الظلال وغيره ، ومن الكتب التي لها امتداد لأفكار سيد قطب، والتي تسير في نفس الاتجاه، ولها تأثير في الوسط الإخواني مع صغر حجمه كتاب "ماذا يعني انتمائي للإسلام" للأستاذ فتحي يكن، الذي يقول فيه بكل وضوح: " إن الانتساب إلى الحركة الإسلامية هو الانتماء إلى الدين نفسه !!" ، كما سيأتي بيانه في مبحثه، ومن يقرأ الكتاب يجد أنه امتداد لما رسخه صاحب الظلال في تفسيره، ويتضح له تمام الوضوح تأثر فتحي يكن بسيد قطب، وكتاب يكن من الكتب التي أثرت في العقل الجمعي للجماعة، مما يعني أن من تشبع بهذا الكلام فإن الأمر سيؤول به إلى الصدام مع المجتمعات، والحكم عليها بالجاهلية وأن الأمة تعيش في ضلال، كما قرر ذلك قطب وفتحي يكن في تنظيرهم، وبالتالي ستكون الآثار خطيرة عند التطبيق الذي سيؤدي حتما إلى التحطيم والتدمير، كما حصل مع الذين تشبعوا بالاعتكاف على قراءة الظلال وغيره، وكان من آثار ذلك بروز ظاهرة التكفير داخل جماعة الإخوان والتي بسببها كتب حسن الهضيبي كتاب: "دعاة لا قضاة"، ومع ذلك فإن التأثير القطبي داخل الإخوان ظل حاضرا، ولا يزال حاضرا في جماعة الإخوان وقادتهم، وأفكار سيد قطب بسببها نشأت جماعات التكفير والهجرة وغيرها، ومع ذلك ظلت كتبه هي الرافد المهم الذي يستقي منه قادة الإخوان وأتباعهم، ولذلك فإن فكرة التمكين لإقامة الإسلام بهذه الصورة المشوهة كان من آثارها التحطيم والتدمير الذي حصل من جماعات العنف والتكفير

وغيرهم، وفي هذا يقول الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر: " ولا أظنني أخطئ شيئا في التقدير أن هذه النابتة لم يبتلى بها شيء في الإسلام قط على كثرة ما انتابته من النوابت المتتابعة، فاتسم تفكيرهم بسمة التحطيم والتدمير، والغلو والجرأة " [1]

ويشير محمود شاكر في مقاله إلى من يزعم أن الإسلام لم يطبق ولم يُعمل به إلا في مدة معينة، فيقول الأستاذ شاكر : " وقد تفشت في أهل الإسلام منذ زمن قريب فاشية شديدة الخطر على تاريخ الإسلام كله، بل على دين الله نفسه، نظرت متعجلة في دين ربها، وخطفت خطفة في تاريخ أسلافها، ثم انتزعت من ذلك كله حكمًا يدمغ المسلمين جميعًا منذ القرون الأولى من الهجرة، باطراح الدين واتباع الشهوات، فزعمت مثلاً: أن الإسلام لم يطبق ولم يعمل به إلا مدة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومدة أبي بكر خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- -، ومدة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ثم مرج أمر الإسلام واضطرب!، والخطأ في مثل هذا الحكم الدامغ يكبر عن أن يسمى خطأ إنه الحالقة: حالقة الدين لا حالقة الشعر، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تستأصل دين الصحابة والتابعين، وتستأصل أمانتهم في تبليغه، وتستأصل ما بذلوه في نشره في مشارق الأرض ومغاربها، وتستأصل تاريخهم، وتستأصل تاريخ الحياة الإسلامية كلها ثلاثة عشر قرنًا! فيا لها من

(١) محمود محمد شاكر مقال بعنوان حكم بلا بينة مجلة المسلمون العدد الأول ديسمبر ١٩٥١ ص٢٢.

بلوى تستهلك دين امرئ إذا نطق بها، وتخسف بتقوى سامع إذا لم ينكرها" [1]

وبهذا يهدر سيد قطب ومن نحا نحوه جهود السابقين الذين كانوا سببا في وصول الإسلام إليه، فيتوقف الإسلام عنده عند تاريخ معين فالإسلام عنده سقط منذ قرون ، ويعطي ظهره لتاريخ الأمة كله بزعمه أن الأمة لم تطبق الإسلام الذي وصل إليه على طبق من ذهب !!، ويتساءل شاكر إلى أي شيء يحتكم من أسقط من عمر الأمة الإسلامية ثلاثة عشر قرنا قائلا :

" بل إلى أي شيء يحتكم قائل هذه الكلمة في الحكم على عَصرهم؟ أليس يحتكم ويرجعُ في الحكم عليهم إلى ما بَلغَه هو من دين الله الذي بلّغوه هُم إليه؟ وأنى له أن يعرف الإسلام إلا بما عَرَّفوه هُم له ولمن سبقه من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -؟ بل كيف يُعقَل أن يبلِّغوا هذا الشيء الذي يستند إليه هذا القائل، ويكونونَ هم أوَّلَ الناقضين والهادمين بإغفالهم إقامته، بل بعملهم على إقامة خلافه؟ أفي العَقل شيءٌ بعد ذلك هو أَفسَدُ معنى ومدخلاً ومخرجًا من هذه الكلمة الجائرة، من هذا الحكم المستأصل لدين هؤلاء الناس وعلمهم وأمانتهم؟ كبرت كلمة وساء حكمًا." [2]

ولنا أن نتساءل عن هذا الإسلام الذي لم يطبق في زعم من يقول بهذا الكلام لا سيما أن الإسلام الذي وصل إلينا بعد هذه القرون الطويلة هو

(١) محمود محمد شاكر، مقال "حكم بلا بينة " مجلة المسلمون العدد الأول ديسمبر ١٩٥١.

(٢) من مقال "حكم بلا بينة" للأستاذ محمود محمد شاكر – مجلة المسلمون العدد الأول ديسمبر ١٩٥١.

عين التمكين للإسلام الذي أنكره وألقاه " قطب " وراء ظهره بكل سهولة، فأسقط جهود الصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء والمصلحين عبر الأمة الإسلامية بزعم غريب وعجيب !! ولهذا تساءل الأستاذ محمود شاكر عن هذا الإسلام الذي لم يطبق فقال :

" وأحبُّ أن أزيد الأسئلة: ما هو هذا الإسلام الذي لم يطبق: أَكفروا بأن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؟ أتركوا صلاتهم وأضاعوها وسهوا عنها؟ أَمَنعوا زكاتهم واحتجنوها (أي خزنوها) فلم يؤدوا حق الله عليهم؟ أَتركوا شهر صيامهم فأفطروه؟ أَأَبوا أن يحجوا إلى بيت ربهم قانتين مسبحين مكبرين؟ أَعتزلوا الجهادَ بأموالهم وأنفسهم رغبة عنه وحرصًا على الحياة؟! أَأَغفلوا أدبَ الله لهم وأدب رسوله؟ أنقضوا عهدَ الله فخانوا الأمانة وبغوا في الأرض؟ أَعطَّلوا أحكامَ الله وفرضوا على الناس أحكامًا من عند أنفسهم؟ أَشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله؟ أَأَبطلوا الحدود ونصروا الخارجين عليها والمعتدين؟ أَأَعرضوا بقلوبهم ووجوههم عن كل ما تضمَّنَه كتابُ الله، وما احتوته سُنَّة رسوله، وعادوا في جاهلية لا يعرفُ فيها لله دين، ولا يطاعُ له فيها أمرٌ، ولا يُنتهى فيها عن منكر، ولا يُؤتى فيها معروف؟ أَرتكَسُوا هم والأمة كلها قرنًا من بعد قرنٍ، في تعطيل الإسلام في أحكامهم، وفي أنفسهم، وفي أبنائهم، وفي الذين دخلوا في هذا الدين حتى شمل ما بين الهند شرقًا إلى المغرب الأقصى غربًا، ومن

حدود الروم شمالاً إلى أقصى الأرض جنوبًا؟ أيّ عاقل يستطيع أن يقول: نعم، في جوابِ سؤالٍ، واحدٍ، من هذه الأسئلة، فضلاً عنها كلها؟ ولو غلغَل المرءُ قليلاً فسأل نفسه: أمن الممكن لأمة تنقُض دينها هذا النقضَ، الذي استوجبَ ذلك الحكم، أن تفتح الأرضين كلها، وتحدث فيها أكبر تغيير حدث في تاريخ الجنس البشري كله: تتغير بهم ألسنة الناس إلى العربية، ودينهم إلى الإسلام، وتنابُذُهم إلى الألفة، وتداعيهم باسم العصبية والجنسية، إلى شيء واحدٍ، هو جماعة المسلمين، ويقومُ هذا الأمرُ في الأرض ثلاثة عشر قرنًا، مع شدة ما انتابَ المسلمين على مرّ القرون من النوائب، إلى أن كانت النائبة الكبرى في هذا العصر، وهي نائبة الاستعمار، ويَظَلُّ مع ذلك هذا الرباطُ الوثيق مشدودًا، لا ينحلُّ من ناحية، إلاَّ تداركته آلاف الأسباب من هذا التراث من نواح أخرى؟ أكان ممكنًا لهؤلاء الذين خانوا أمانة الله أن يبلغوا هذا المبلغ؟ اللّهُمَّ اشهد، فإنها كلمةٌ لو صحت لأزالت العقول من مستقرّها، وصدق الله رَسُولَهُ والمؤمنين: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدُونَنِي لاَ يُشرِكُونَ بِي شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ [النور: ٥٥]، وما من حرفٍ، من هذه البشارة إلا أتمه الله على محمد وأصحابه وتابعيهم، إذ كانوا خير أمةٍ، أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله في سرّهم وعلانيتهم." [1]

وهذا الكلام من الأستاذ الكبير محمود شاكر يلفت فيه أنظارنا إلى أن الله سبحانه وتعالى مكن لهذا الدين طيلة هذه القرون الماضية حتى وصل إلينا مع ما حصل من أزمات ونوائب مفجعة ثم يأتي قطب فيقول في المعالم: " إن وجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة !!! " وهي عبارة تُهدر جهود العلماء وما تركوه من تراث علمي، وانفتاح حضاري، وإشعاع ثقافي، وإصلاح إجتماعي، الخ ..

(١) من مقال "حكم بلا بينة" للأستاذ محمود محمد شاكر - مجلة المسلمون العدد الأول ديسمبر ١٩٥١ .

المبحث الثاني

الإنحراف الفكري في فهم نصوصّ التمكين

المطلب الأول : القراءة المختلة للسيرة النبوية وتوظيفها للمنطلق .

المطلب الثاني : المفاهيم الخاطئة للنصوص وأثرها على المنطلق .

المطلب الأول : القراءة المختلة للسيرة النبوية وتوظيفها للمنطلق

وكما تم التوظيف لفكرة جاهلية المجتمع وكونه لا يحكم بشرع الله؛ حتى يساق الناس والشباب خاصة لفكرة التمكين، فقد تم أيضا استدعاء السيرة النبوية والاستظلال بها وعسكرتها من أجل التمكين للجماعة التي ستتكون داخل المجتمع المسلم ! ، وقد ألمح الدكتور أسامة الأزهري إلى خطورة إستخراج الأحكام من وقائع السيرة النبوية بغير ضوابط حيث قال :

(واستخراج الأحكام من وقائع السيرة النبوية وتنزيل هذه الوقائع من غير دراية بقواعد الاستنباط يؤدي إلى خلل في الفهم، ومن المعلوم أن: " للسيرة النبوية قواعد في الاستنباط منها، واستخراج الأحكام من وقائعها، ومن تسرع في الإلحاق بها والقياس عليها فقد كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ونسب إليه نقيض شرعه " (١).

ومن الكتب التي استدعت السيرة النبوية لخدمة فكرة بعينها كتاب: "المنهج الحركي للسيرة النبوية" للدكتور منير الغضبان، والذي يبين في مقدمته أنه استقى فكرة الكتاب من كتاب "معالم في الطريق" لسيد قطب فيقول منير الغضبان:

(١) الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين- أسامة السيد الأزهري- ط: دار الفقيه ١٤٣٦-٢٠١٥- الطبعة الثانية – ص ٢١٤

" أما فكرة المنهج الحركي للسيرة فقد انبثقت في الفكر انبثاقا يختلف عن الأصل الذي كنت أفكر فيه، لا أزال أذكر في بداية الستينات عندما طلع علينا الشهيد سيد قطب رحمه الله بكتابه -معالم في الطريق- وكان نقطة تحول حساسة في الفكر الحركي الإسلامي، وقفت مليا أمام هذه الفقرة: والسمة الثانية في منهج هذا الدين: هي الواقعية الحركية، فهو حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة، كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة، والذين يسوقون النصوص المختلفة بكل مرحلة منها، الذين يصنعون هذا يخلطون خلطا شديدا، ويلبسون منهج هذا الدين لبسا مضللا، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادىء والقواعد النهائية. ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصا نهائيا يمثل القواعد النهائية في هذا الدين، ويقولون - وهم مهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان - إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع أو يحسبون أنهم يُسدون إلى هذا الدين جميلا بتخليه عن منهجه، وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا، وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة

السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية، وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها. "[1]

ثم يقول الدكتور منير الغضبان بعد إيراده كلام معالم في الطريق لسيد قطب : "وقفت أمام هذه الفقرة كثيرا وأنا أقرأ الكتاب أو أشرحه، وتساءلت في نفسي عن هذه الواقعية الحركية: ما هي مراحلها؟ وما هي الوسائل المناسبة لكل مرحلة؟ وما أحوجنا إلى كتاب يوضح هذه المراحل، وهذه الوسائل، فيضع نقاطا علامة للدعاة إلى الله، يتعرفون فيها على خطوات السير، كما فعل الشهيد في معالمه، موضوع مثير حقا، وعدم فهم هذه المراحل والتعرف عليها، وفهم الوسائل المناسبة يجعل الخلاف عميقا بين الدعاة المسلمين وأبناء الحركة الإسلامية، وللإجابة على هذا السؤال. لم يكن عندي إلا دراسة السيرة دراسة واضحة تحدد المراحل المتتابعة فيها، وسمات كل مرحلة. لأن السيرة النبوية هي التطبيق العملي للإسلام، وهي الصورة الأنموذج لإقامة دولة الإسلام. فإذا توضحت هذه المراحل، وتبينت هذه السمات، كفينا المؤونة، وتوحد خط السير، وانتفى دور الاجتهاد الشخصي." أ.هـ [2]

وبهذا يتضح للقارئ كيف تُستدعى السيرة النبوية ليتم توظيفها لإقامة

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية- منير الغضبان- ص٧-٨-٩ ط ٦: سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م- مكتبة المنار- الأردن.

(٢) المرجع السابق ص٩ .

دولة الإسلام بمفهوم عجيب وغريب، وتتم عسكرة السيرة النبوية لصالح فصيل أو جماعة بعينها !، وكتاب المنهج الحركي مليئ بالمغالطات والأخطاء العلمية، وفيه أغلوطات وإسقاطات وقياسات فاسدة وتصورات عجيبة لعلنا نفردها ببحث مستقل إن شاء الله، لقد تم عرض النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والسيرة العطرة بصورة مشوهة مجتزئة من سياقها ومفهومها وملابسات أحداثها فكانت النتيجة نتيجة صدامية !!، لأن الاستدلال بهذه النصوص يحصل ممن لم تتحقق فيه الأهلية العلمية، أو ممن شذ عن كلام أهل العلم من أجل أن يخدم فكرته.

وقد أشار إلى هذا المعنى المفكر الأستاذ عبد الغني العمري في كتابه " العِبَر الإخوانية" فيما عنونه بمراعاة شروط الاجتهاد عند المطابقات قائلًا: " نعني بالمطابقات مطابقة الآيات القرآنية وأحداث السيرة النبوية مع الواقع، وذلك لأن الجماعات السياسية كثيرا ما تلجأ إلى الاستدلال بهما، من دون إحكام الشروط العلمية المؤدية إلى المطابقة الصحيحة. وهذا ينطلي كثيرا على من لا علمَ له، ويظن أن اجتهادهم صحيح، فيتبعهم فيما لا ينبغي أن يتبعهم فيه؛ بل قد يصير أسيرا لأحد الاجتهادات، فيخسر معه دنياه وآخرته، وهو لا يدري." [1]، ويذكر الدكتور عمر عبيد حسنة: " أن الكثير من الكتب التي أُلِّفت حول السيرة، والتحليلات والدراسات التي قدمت، تأثرت بالمناخ الثقافي

(١) العبر الإخوانية . عبد الغني العمري- ط: دار النور المبين، ص ٧٣- ٧٤ .

والسياسي والحزبي والاجتماعي التي أنتجت فيه، وتمت الكثير من المحاولات لإسقاطها على الواقع، والإسقاط غير التنـزيل، وكأن القضية قصاً ولصقاً -كما يقال- لإيجاد المسوغ والمشروعية لمسالك الأفراد والجماعات والأحزاب والفرق والطوائف، الأمر الذي أفرز الكثير من الرؤى الأحادية والحزبية والسياسية التي تستظل بالسيرة ... وحيث إن الكثير من البلاد الإسلامية عاشت أزمة الهيمنة الاستعمارية والاضطهاد من قبل (الآخر) وما رافق ذلك من أفكار الغزو والتبشير والاستلاب الحضاري، فقد دفع ذلك معظم الباحثين والكتاب إلى العودة إلى القيم والسيرة والتراث، مما يعتبر أمراً طبيعياً، للتشبث والاحتماء في مواجهة الأزمة؛ دفعهم إلى عسكرة السيرة والاقتصار على استحضار صور الجهاد والمعارك والغزوات والتضحية، مع غياب الكثير من الأبعاد السياسية والتربوية والاجتماعية والتنموية والتكافلية وتقسيم العمل والإدارة... إلخ؛ وقد يكون المطلوب رؤية الأبعاد جميعها ابتداءً، ومن ثَـمَّ بناء الخطة في ضوء الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة، وقد تكون العسكرة وفكر الأزمة، الذي قد يصلح لمرحلة أو لموقف، غير مؤهل للصلاحية لكل المراحل، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى أزمة تعامل أو أزمة فكر في التعامل مع السيرة.. والأخطر من ذلك أن هذه العسكرة كانت هي الإنتاج الطبيعي والعام في بلاد المسلمين المستعمَرة، أما في بلادٍ لا استعمار فيها، ولا مواجهة، فإن الأمر يتطلب رؤى

وأبعاداً أخرى مناسبة لها، هذا إضافة إلى أن مجتمع المسلمين هو مجتمع بشري، فيه السلبيات والإيجابيات، وأن أقدار التدين تعلو وتهبط، والإيمان يزيد وينقص، وأن كل ابن آدم خطاء: « **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١)، وليس مجرد خاطئ، وإنما كثير الوقوع بالخطأ، ولولا ذلك الوقوع لكـان الأمر مؤذناً بتغيير المجتمع واستبداله بخطائين: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(٢)، فدراسة السيرة، والاقتصار في ذلك على الجانب المثالي، والاستمرار في كل الظروف والأحوال في الضغط عليه وإبرازه، وإخفاء بعض الجوانب السلبية، التي هي واقع بشري، تصور مجتمع القدوة على أنه مجتمع ملائكة مبرمجين على فعل الخير، وبذلك نفتقد الأنموذج المتكامل لكيفية التعامل مع الفعل السلبي وكيفيات معالجته، فيسقط يومياً، لعجزنا التربوي وقصور رؤيتنا للأنموذج، الكثير من الضحايا الذين قد يغادرون مجتمع المسلمين إلى (الآخر)، أو ينكفئون على ذواتهم وينسحبون من المجتمع، تحيط بهم أخطاؤهم، وقد يكونون هم الأحوج إلى السيرة وأنموذج الاقتداء لينتشلهم من معاناتهم.أ.هـ(٣).

ثم يقول: "لقد جعلوا الزمن والمراحل التي مرت بها الدعوة هو الذي

(١)أخرجه الترمذي ٤ حديث : ٢٤٩٩ .

(٢)أخرجه مسلم ٤ | حديث : ٢٧٤٩.

(٣)"وثيقة المدينة" المضمون والدلالة – أحمد قائد شعبي- ط:١-ص ٢٢-٢٣ سلسلة كتاب الأمة- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، سنة ٢٠٠٥.

يتحكم دون النظر للاستطاعة والمجتمع ومكوناته، فأهدروا الكثير من الوقت والمال والاستطاعة، نتيجة لغياب منهجية الاقتداء وحسن اختيار الموقع بحسب الواقع، وليس أقل من ذلك اضطراباً وتخبطاً من توقفوا عند مرحلة الكمال والاكتمال التي وصل إليها الأنموذج، ولم يبصروا إلا الأحكام الشرعية النهائية التي تناسب مرحلة القوة والتمكين والكمال والاكتمال، فلم يرضوا أن يغادروها حتى في التعامل مع حالاتهم من الضعف والتراجع، فهم ينادون بالقتال حتى لا تكون فتنة وهم عاجزون عن درء الفتنة عن أنفسهم، عجزوا أن يبصروا أن السيرة تراوحت حوادثها بين تطبيقات قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[2]، وأن منهجية الاقتداء تقتضي منهم اختيار الموضع والموقع الملائم من هذه المسيرة، التي أتت على أصول الحياة الإنسانية جميعاً وكيفية التعامل معها، في ضوء الحال التي عليها الناس.. فاختزال السيرة في حقبة أو حادثة أو فترة تاريخية وتحنيطها ومحاصرة خلودها وإيقاف عطائها، والتخويف والإرهاب الفكري من التعامل معها، وحجرها على فئة أو جماعة أو حزب أو كهانة دينية معينة، إخراجٌ لها من مد الحياة بعطائها، وإحداث فراغ يمتد فيه (الآخر)؛ وعسكرة السيرة لسبب أو ظرف أو بيئة أو مناخ، وتغييب الأبعاد

(١) سورة النحل . ١٠٦.

(٢) سورة البقرة . ١٩٣.

الأخرى لعطائها، يعزلها عن الكثير من متطلبات الحياة، ويحاصر عطاءها، ويشوه مقاصدها، إن السيرة، التي جسدت قيم القرآن، هي سفر مفتوح لكل قارئ، في كل زمن، ولكل زمن حاجاته وعطاؤه وقراءته.أ.هـ[1]

لذلك إذا وقفنا أمام هذه النماذج من الكتب التي تقرأ السيرة بهذه العين فلا عجب أن ترى إسقاطات بعيدة عن الواقع تؤدي إلى صِدام هنا وصِدام هناك، ولا تجد في أمثال هذه الكتابات دعوة إلى التعايش الذي طبقة النبي العظيم صلى الله عليه وسلم على أرض الواقع، والذي ترك لنا نماذج عديدة للتعايش مع الآخر داخل الدولة وخارجها ذكرها مفتي الديار المصرية السابق الدكتور علي جمعة في كتابه "المبادئ العظمى"، تحدث فيه عن نماذج أربعة في التعايش مع الآخر، فقال : "ولقد ترك لنا رسول الله ﷺ أربعة نماذج للتعايش مع الآخر داخل الدولة وخارجها:

أحدها: نموذج مكة، وكان المَقام فيها: مقام الصبر والتعايش.

والثاني: نموذج بقاء المسلمين في الحبشة، والمقام فيها: مقام الوفاء والمشاركة.

والثالث: نموذج المدينة في عهدها الأول، والمقام فيها: مقام الانفتاح والتعاون.

والرابع: نموذج المدينة في عهدها الأخير، والمقام فيها: مقام العدل، والوعي

(١) "وثيقة المدينة" المضمون والدلالة، ص ٢٤-٢٥-٢٦ باختصار.

قبل السعي، ولا يخرج بقاء المسلم في مجتمعه عن هذه الصور الأربع، ويجب علينا أن نَعِيَ حقائقَ هذه النماذج، وأنها صالحة للاستفادة منها للمسلم حسب حاله، وأن بعضها لم ينسخ بعضًا، بل تنزل أحكامها بحسب الحال، ونستفيد من سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته على كل حال، إن هذه المقامات أصبحت أساسًا أصيلا في تكوين شخصية المسلم، وامتدت إلى أعماقه، حتى صار الصبر والتعايش، والوفاء والمشاركة، والانفتاح والتعاون، والعدل والوعي بالشأن والزمان والسعي على بصيرة، جزءًا لا يتجزأ من تلك الشخصية، بل إن هذه المقامات هي أصل دين الله الذي ارتضاه للبشر عبر العصور وكر الدهور."[1]

(١) المبادئ العظمى- وقال الإمام – د. علي جمعة – ص ٢٥٩-٢٦٠- ط:١-سنة ٢٠١٠م- الناشر: الوابل الصيب -المقطم - القاهرة.

المطلب الثاني : المفاهيم الخاطئة للنصوص وأثرها على المنطلق

وهذه مشكلة المشكلات التي عانى منها المجتمع المسلم من أطياف متعددة بسبب التجاسر على حقل العلوم الإسلامية، وفي عصرنا الحديث تم اختطاف النص الديني من عدة تيارات أقحمت عقولها في تفسير النصوص من غير توفر الأدوات والعلوم التي من خلالها يتم فهم النص، ففريق يجتهد بحجة الإبداع وأن من حقه أن يفهم النص كما يشاء، وفريق آخر يفسر النصوص ويستخدمها ليوجهها توجيها يخدم فكرته، فنتج من هذا إساءة استخدام النصوص القرآنية والنبوية والاستشهاد بها في غير محلها أو بطريقة معوجة من غير إعمال الأدوات العلمية التي من خلالها تُفهم النصوص القرآنية والنبوية، كعلم أصول الفقه وعلوم اللغة وغيرها حتى لا يقع الإنسان في التخبط، وكان الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله ينصح ولده بإتقان هذه العلوم التي هي مفاتيح أساسية لفهم النصوص على النحو الذي ارتضاه أهل العلم كما ينبغي، ونظم في هذا أبياتا من الشعر قال فيها:

أَبُـنَيَّ لا تُهْمِلْ نَصِيْحَـتِيَ الَّتِيْ **** أُوْصِيْكَ وَاسْمَعْ مِنْ مَقَالِي تَرْشُدِ

اِحْفَظْ كِـتَابَ اللهِ وَالسُـنَنَ الَّتِيْ **** صَحَّتْ وَ فِقْهَ الشـافِعِيِّ مُحَمَّدِ[1]

(١) كان الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، شافعي المذهب وأولاده كذلك تفقهوا على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهذا هو الذي درج عليه أهل العلم عبر العصور، ومن نصائحهم أن يتقن طالب العلم مذهبا من المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة المعتبرة المعتمدة حتى يتأسس تأسيسا علميا سليما.

وَ تَعَلَّمْ النَّحْوَ الَّذِيْ يُدْنِيْ الفَتَى **** مِنْ كُلِّ فَهْمٍ فِيْ القُرَانِ مُسَـــدَّدِ

وَ اعْلَمْ أُصُوْلَ الفِقْهِ عِلْماً مُحْكَماً **** يَهْدِيْكَ لِلْبَحْثِ الصَحِيْحِ الأَيِّدِ[1]

وَاسْلُكْ طَرِيْقَ الشافِعِيِّ وَ مَالِكٍ **** وَ أَبِيْ حَنِيْفَةَ فِيْ العُلُوْمِ وَ أَحْمَدِ

إن عدم التمكن في العلم وأخذه على يد أربابه يؤدي إلى خلل في فهم النصوص والمصطلحات وتوجيهها توجيها يُخل بمراد الشرع الشريف، ومن الأمثلة الواضحة في ذلك مفهوم الجهاد، فقد تم تشويه صورة الجهاد من بعض أتباعه بحجة أنهم يدافعون عن الشرع ويمكنون لدين الله !، ولهذا انخدع كثير من الشباب بهذه الشعارات التي تدعوا إلى الجهاد من غير أن تفقه وتفهم فقه الجهاد الذي وضحه وأسفر عن معانيه الصحيحة التي تليق به عدد من أهل العلم، وقد ألمح الدكتور العبادي إلى خطورة عدم مراعاة الحيثيات المتعلقة بالحديث عن الجهاد قائلا: " فإن الحديث عن الجهاد دون مراعاة كل الحيثيات التي تحتوشه، لا شك سيفضي إلى فُهوم سقيمة، ومبتسرة، وجزئية. وهو ما رأيناه بالفعل، حيث جرى تحويل هذا المفهوم الجليل،عبر التاريخ الماضي والحاضر، إلى أداة قتل في أيدي أهل المروق، وهو تحويل لم يقتصر فقط على الجهاد، بل تناول سائر المفاهيم الكبرى في الإسلام، مثل الدين، والشريعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والولاء والبراء، والإسلام والكفر، ودار

(١) وصية الإمام الحافظ الفقيه الكبير المجتهد شيخ الإسلام تقيّ الدين علي بن عبد الكافي السبكيّ رحمة الله عليه وَ رضوانُهُ لإبنه الشيخ محمد سنة ٧١٠ هجرية، من قصيدة طويلة .

الإسلام، ودار الحرب، والهجرة، والنصرة، والدولة ووظائفها، والأمة، والخلافة، والإيمان، وعلائق الأمة بالدين، ومفهوم الوعد الإلهي، ومفهوم الحاكمية، ومفهوم التمكين، وغير ذلك من المفاهيم القرآنية "[1].

وهذه المفاهيم المغلوطة المشار إليها تأتي بسبب التجرؤ على تأويل النصوص وتوظيف المصطلحات بطريقة عبثية، مما يؤدي إلى الوقوع في الكوارث والأزمات التي تعاني منها مجتمعاتنا، بل وتستقطب هذه المفاهيم عددا كبيرا من الشباب الذين يقضون أعمارهم في صراع مع المجتمعات والأنظمة. وقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه يخاف على هذه الأمة من هذا النموذج الذي يتأول النصوص القرآنية بغير علم ويقول: «**مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ مُؤْمِنٍ يَنْهَاهُ إِيمَانُهُ وَلَا مِنْ فَاسِقٍ بَيِّنٍ فِسْقُهُ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا رَجُلًا قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى أَزْلَفَهُ بِلِسَانِهِ ثُمَّ تَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ**» [2].

وقد تعددت الكتابات التي توجه النصوص وتستدل بها استدلالا معوجا،كما حصل مع سيد قطب في تفسيره الظلال وأفكاره في كتاب "معالم في الطريق"، وبعض أفكاره في المعالم تجدها في الظلال، وقد رد على كتابه معالم في الطريق عضو هيئة كبار العلماء ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر وقتئذ العالم الأزهري محمد عبد اللطيف السبكي، الذي قال في بداية تقريره عن كتاب

(١) في تفكيك مفهوم الجهاد- د. أحمد عبادي - ص ٦ - الرابطة المحمدية للعلماء - سلسلة االإسلام والسياق المعاصر.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٦٨).

معالم الطريق لسيد قطب : " إن المؤلف ينكر وجود أمة إسلامية منذ قرون كثيرة ! ومعنى هذا أن عهود الإسلام الزاهرة، وأئمة الإسلام، وأعلام العلم في الدين : في التفسير والحديث والفقه وعموم الاجتهاد في آفاق العالم الإسلامي، معنى هذا أنهم جميعا كانوا في تلك القرون الكثيرة السابقة يعيشون في جاهلية، وليسوا من الإسلام في شئ .. حتى يجئ سيد قطب فينهض إلى ما غفلوا عنه من إحياء الإسلام وبعثه من جديد."[1]

ولا يخفى على أحد من الباحثين والعلماء الراسخين خطورة ما تحتويه أفكار سيد قطب على بعض المفاهيم الصادمة والتصورات الخاطئة، التي طالما حذر العقلاء منها والتي بسببها نشأت جماعات التكفير والهجرة، وحصلت فتنة التكفير داخل جماعة الإخوان في السجون وغيرها بسبب فكرة الجاهلية والحاكمية التي انطلق التكفير منها بشهادة الدكتور يوسف القرضاوي، الذي قال : عن الفصيل الذي تأثر بأفكار قطب : " ومما اعتمد عليه هذا الفصيل ظاهر بعض كتابات سيد قطب رحمه الله في تفسيره الشهير في ظلال القرآن، وما اختصره منه في كتاب معالم في الطريق، وقد كتب ذلك بين جدران السجن، وهؤلاء امتداد لجماعة الخوارج الذين صح الحديث في ذمهم، والتحذير منهم، من عشرة أوجه " [2]

(١) تقرير الشيخ السبكي عن كتاب معالم على الطريق، ص ١١ - ١٢ ، وقد تم طبعه مع كتابه:" رسالة في أصول الفقه عند الحنابلة " ط١ : دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع - القاهرة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ .

(٢) مستقبل الأصولية الإسلامية -يوسف القرضاوي-ط:مكتبة وهبة ١٩٩٧م الطبعة الأولى -ص١٨ .

وقال في مذكراته عن سيد قطب: (هذه مرحلة جديدة تطور إليها فكر سيد قطب ونسميها مرحلة الثورة الإسلامية، الثورة على الحكومات الإسلامية، أو التي تدعي أنها إسلامية، والثورة على كل المجتمعات الإسلامية، أو التي تدعي أنها إسلامية، فالحقيقة في نظر سيد قطب أن كل المجتمعات القائمة في الأرض أصبحت مجتمعات جاهلية، تكوَّن هذا الفكر الثوري الرافض لكل من حوله وما حوله، والذي ينضح بتكفير المجتمع، وتكفير الناس عامة)[1] .

وبناء على هذا حذر العقلاء من أهل العلم من قراءة تفسير الظلال منعزلا عن معرفة ما فيه من مفاهيم صادمة تؤدي بالقارئ الذي تشبع بكلام قطب إلى الصدام مع المجتمع، وقد أشار الدكتور أسامة الأزهري في كتابه الحق المبين إلى خطورة ما ترتب على هذا حيث قال: " فظلال القرآن هو المدونة الأساسية التي ترتكز عليها، وتنبثق منها كل تلك التيارات التكفيرية، مما يحتم وضعه تحت المجهر، وقيام عمل علمي نقدي دقيق، يعتصر الكتاب، ويلخص مقولاته، ونظرياته الأساسية، وعباراته المفتاحية، ويستخلص من بين أجزائه وصفحاته المطولة، وإسهابه البياني المستطرد: تلك المقولات الرئيسية، ويؤكد ذلك أن صالح سرية وكتابه (رسالة الإيمان)، التي تنادي بتكفير الحكام وجاهلية المجتمع، واعتباره دار حرب قد نبعت من سيد قطب وكتابه (ظلال القرآن)، وأن شكري مصطفى وتنظيم التكفير والهجرة قد انبثق من (ظلال القرآن)،

(١) مذكرات القرضاوي - ابن القرية والكتاب .

وأن محمد عبد السلام فرج وتنظيم الجهاد وكتاب(الفريضة الغائبة) كذلك، انتهاء بتنظيم داعش، وبيان ذلك أن تركي بن مبارك البنعلي، كتب كتابا عن الرجل الثاني في(داعش): أبي محمد العدناني: طه صبحي فلاحة، واسم كتابه: (اللفظ الساني في ترجمة العدناني)، فذكر أنه تأثر جدا بتفسير (ظلال القرآن) لسيد قطب، وأنه كان من أحب الكتب إلى قلبه، حتى عكف عليه عشرين سنة، وهمَّ بكتابته بخطه، وأنه في درس التلاوة مر على قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]، فهزته هذه الآية من أعماقه، فقال لأحد أقرانه في الطلب:(ما هي مصادر دستور سوريا؟)، فأجابه، ثم قال: (ما هي السلطة التشريعية؟) فأجابه، ثم قال: (ما هي السلطة القضائية والتنفيذية؟)، كل ذلك وصاحبه يجيبه بما تعلمه في المدرسة، فقال له: (يا فلان يعني حكومتنا كلها كافرة!)، فقال له صاحبه:(السلام عليكم)، وولى عنه هاربا! فكان هذا بدايته في بحث مثل هذه المسائل"[2]

بل العجيب أن جماعة الإخوان جعلت هذا الكتاب من المناهج المقررة التي تُدَّرسُ داخل الجماعة وإلى وقت قريب، رغم تحذير العقلاء مرارا وتكرارا ! إلا أن الجماعة ضربت بهذا الكلام عرض الحائط ولم تلتفت إلى

(١) سورة المائدة ٤٤ .

(٢) الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين – أسامة السيد الأزهري– ص ١٨–١٩ –ط : "١": دار الفقيه– أبو ظبي، سنة ٢٠١٥.

نصح الناصحين !، وقد ترتب على هذا عدة أمور منها:

- الصدام مع الأنظمة الحاكمة.

-الصدام مع المؤسسات الدينية باعتبار أن المفاهيم التي جاء بها حسن البنا أو سيد قطب لا تقبل النقاش والجدال حتى وإن لم ترض عن هذه المفاهيم المؤسسات الدينية العلمية أو بعض الأفراد هنا وهناك .

-نظرة الاستعلاء إلى المجتمع .

-حصر فهم الدين وشموليته في فهمه .

-تكفير الأنظمة الحاكمة والمجتمع انطلاقا من مفهوم الحاكمية الذي فصله سيد قطب .

وما ذكرناه سابقاعن هذا الفهم المخالف لصحيح الدين يتأكد لنا جليا في بعض النماذج من الكتابات التي تخاطب العقل الجمعي لهذه الجماعات، مثل كتابات فتحي يكن، وهذا ما سنتوقف عنده في السطور القادمة.

التمكين ثمرة التمكن ومناقشة لكلام فتحي يكن :

لا يخفى على كل ذي لب أن التمكن لا يحصل إلا بالمعرفة السليمة والعمل على تطبيق هذه المعارف ، والاستعداد لتلقي هذه المعارف والفنون والخبرات والإلمام بالواقع، وبتاريخ الأمم، وبأمور أخرى.

يقول د. جاسم سلطان في كتابه " أزمة التنظيمات الإسلامية (الإخوان نموذجًا) " وهو أحد أفراد جماعة الإخوان سابقا : "ونحن حين ننظر إلى القيم التي نعزوها إلى الإسلام، كالنظام والنظافة والحرية والعدالة وغيرها، سنجد أغلبها عالق في فضاء الفكرة، ولم ينتقل إلى الخطوات بعدها، ووظيفته في عصرنا وظيفة استرجاعية وقائية من انهيار الذات أمام تطور البشرية، فحين يسألنا أحد عن نظافة شوارعنا، وسلوكيات النظافة العامة عندنا في بلاد الإسلام نقول له: كانت قرطبة لها شوارع نظيفة، والإسلام حث على النظافة، ثم نذكر نصوصًا تُدلل على ما نقول، ثم ننام مرتاحي الضمير، ها نحن أثبتنا أننا خير منهم، كل شيء عندنا ولكننا لا نطبق، ولا نسأل أنفسنا بالضبط ما الذي عندنا وما الذي قلناه ؟ كل الرحلة التي ذكرناها نجيب عنها بذكر القيمة والتدليل عليا بنص، ثم ذكر حادثة تاريخية استثنائية عن وجودها في يوم ما ومكان ما، هكذا دُربت العقلية التي أنتجناها، هكذا تصل الحركات الإسلامية والإفراد المسلمون إلى السلطة نضالا أو بفعل الأحداث، ثم تجد نفسها فارغة

اليدين من النُظم، بل حتى من استعداد المجتمع لتطبيق القليل من النظم، فلا الحفر المعرفي الفلسفي أُنجز، ولا الانتشار الثقافي المهيئ للنضال من أجل القيمة تم، ولا النظام موجود، وتمضي السنوات كما هي، ونحن نقول : الإسلام نظام شامل من دون أن نعي أن الوصول بالفكر إلى مرحلة نظام هو ابن عمل شاق، وليس نصًا أو فكرة مجردة، أو حادثة تاريخية معزولة من سياق.أ.هـ[1]

وهذا الأمر كم سمعناه مرارا وتكرارا من الجماعات التي تحاول أن تفرض قناعاتها على الناس، وأنها هي البديل المنتظر، فتقدم نفسها بديلا عن الدولة!! وأنها صاحبة الحلول الجذرية لكل المشكلات التي يعاني منها المجتمع، وليس هذا فقط بل إن صاحب هذه الأفكار يعتبر نفسه هو الأولى والأجدر بحمل الرسالة، وأنه هو الوحيد صاحب القضية الذي يعيش لأجلها وأن تصوره هو التصور الذي لا ينخرم بحال من الأحوال، وهذا ما أدركه الدكتور جاسم سلطان الذي عاش مع الجماعة فترة من الزمن وعاصر قادتها وخبر أحوالها عن قرب فيقول:

" من المفهوم بالنسبة إلى حركة دعوية أن تربي أفرادها، وتدعو المجتمع إلى سد ثغراته والمساهمة في تطويره وبنائه، ولكن أن تأخذ على عاتقها أنها من سيقوم بالمهمة عن المجتمع فذلك كان يجب أن يستدعي نقاشًا مطولا، فمن

(١) أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجا، د جاسم سلطان – ط : نماء، ص ٦١- ٦٢

ذا الذي يعطي أي فرد في المجتمع المسلم الحق في أن ينصب نفسه بديلا عن المجتمع، يخطط عنه، ويفرض عليه رؤيته، ويبني تنظيمًا بديلا عنه ؟ هنا نحتاج إلى أن نغوص في أعمق من مجرد السطح لمعرفة جذور الأفكار، فالفكرة تبدأ من قراءة العالم بالنسبة إلى المُنظّر الرئيس في الموضوع، فهو لو قرأ المجتمع على أنه مجتمع لم يعد يُطبق الإسلام، والإسلام نظام شامل، وأنه لا بد من استعادة الدورة التاريخية بتربية الناس (وهم هنا في النهاية أفراد التنظيم أولا والذين سيربون الناس بعدها) على هذا المفهوم، ومن ثَمَّ أخذهم إلى دائرة صنع القرار وإلى مفاصل المجتمع لإعادة الدورة الحضارية مرة أخرى، وهنا ليس المقصود فقط الأفراد بل التنظيم كاملا باعتباره النواة التي احتفظت بخصائص الرسالة المحمدية الأولى والمؤهلة لتنفيذها، وذلك أن من عداهم غير صالح لذلك، قد يُفاد منه في مرحلة أخرى، .. ولكنه لم ينصهر بالفكرة في بوتقة التنظيم الممثل للرسالة الخالدة، وهنا يقفز لك متحمس ليقول لك : ولكننا لا نقول نحن "جماعة المسلمين" ولكننا "جماعة من المسلمين"، وتلك مقولة كثيرة الترداد، ولكن الواقع التثقيفي للجماعات حين يقدم نفسه على أنه الفهم الصحيح للدين، وأن غيره هو الفهم القاصر للدين، وأنه التمثيل الوسطي المعتدل، يختفي الفارق بين جماعة من المسلمين وجماعة المسلمين، فحين تُستَدْعى نصوص الولاء والبراء ونصوص الجماعة في أحاديث الرسول ثم أو في القرآن فالعقل

ينصرف إلى التنظيم لا إلى كل المؤمنين، وعندما تأتي فكرة البيعة والمرشد أو الأمير يصبح المشهد مكتملاً، فالخروج من هذه البيعة هو خروج عن ولي الأمر واجب الطاعة، والذئب يأكل من الغنم القاصية، والخروج من هذه الجماعات هو عين التساقط من طريق الدعوة، فطريق الدعوة لن تكون فيه إلا إن كنت مع هذه الجماعة أو تلك، ولذلك ستجد أهم الكتب المتداولة "الطريق إلى جماعة المسلمين" أو كتاب "المتساقطون على طريق الدعوة" معبرا عن هذا التصور الذي لا يُصرَّحُ به ولكنه يُعاش ويُتنفس" [1]

والذي ذكره كاتب هذه الكلمات لا يجادل فيه إلا صاحب هوى لا يقبل النصيحة!! وهذه النفسية التي تعيش بهذه التصورات صارت بغير شعور لا ترى إلا نفسها وأفرادها وتنظيمها، وسنضرب عدة نماذج على هذا الكلام السابق من كتاب "ماذا يعني انتمائي للإسلام" للأستاذ فتحي يكن [2]، والكتاب مع صغر حجمه إلا أنه من الكتب المنتشرة داخل جماعة الإخوان، والذي يُقرر على

(١) أزمة التنظيمات الإسلامية .. الإخوان نموذجا – د. جاسم سلطان – ط : نماء – ص ٦٥ ، ٦٦

(٢) فتحي محمد عناية يكن، سياسي وكاتب لبناني، وأمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان في ١٩٦٢، وهي فرع من فروع الإخوان في لبنان، انخرط في العمل الإسلامي في لبنان منذ خمسينيات القرن العشرين، وكان من الرعيل الأول الذين أسسوا الحركة الإسلامية في لبنان المتأثرة بجهود الإخوان السوريين، من مؤلفاته: مشكلات الدعوة والداعية، وكيف ندعوا إلى الإسلام؟ وماذا يعني انتمائي للإسلام؟ وغيرها .. وكلها مؤلفات تكاد تكون مستنسخة من أفكار سيد قطب، توفي عام ١٤٣٠هـ، عن عمر يناهز ٧٦.

أفرادها في مصر وغيرها من سائر الأقطار، وللأستاذ حسين القاضي كلاماً عن يكن جاء فيه: " إذا كان قطب قد صاغ الملامح والقواعد العامة للمشروع الحركي الذي أثر في الإخوان والحركات الإسلامية عمومًا، فإن فتحي يكن هو من فصّل المشروع وشرحه وصاغ عليه فكر الإخوان ووعيهم ومنهجهم في التربية الحركية، ولفتحي يكن كتب كثيرة، أهمها: (الإسلام فكرة وحركة وانقلاب)، و(أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي)، و(ماذا يعني انتمائي للإسلام)، و(قطوف شائكة من حقل التجارب الإسلامية)، و(المتساقطون على طريق الدعوة)، وفي هذه الكتب تتجلى صدى أفكار سيد قطب، تلك الأفكار التي تدعو الحركة الإسلامية إلى القطيعة مع مجتمعاتها، والانقلاب عليها في الروح والتصور والسلوك، والاستعلاء عليهم بالإيمان، في كتب فتحي يكن يظهر سيد قطب بتكفيره وتجهليه للمجتمع، بل إن كتاب: (ماذا يعني انتمائي للإسلام) من أكثر أدبيات الإسلاميين وضوحا في نزعته لاعتبار الانتماء إلى الإخوان هو هو الانتماء للإسلام، وعدم التمييز بين الإسلام كدين وبين رؤيته الخاصة واجتهاده البشري في فهمه، فهو لا يعرف فارقًا بين "ماذا يعني انتمائي للإسلام"، و"ماذا يعني انتمائي للإخوان"!. لذا وجب التمكين للإخوان الذين هم الإسلام" [1]

(١) مقال للأستاذ حسين القاضي عن الأستاذ فتحي يكن

وفي السطور القادمة أستعرض نماذج من كلامه مع تفنيده والرد عليه، حماية لدين الله من التأويلات الفاسدة المنحرفة، فقد قال مخاطبًا أتباع الحركة الإسلامية (الإخوان) متحدثا عن الانتماء العقيدي قائلا :

" وأول الأبعاد التي يجب أن ندركها في انتمائنا للحركة الاسلامية هو البعد العقيدي، ذلك أن الحركة ترفض (الانتماء الشخصي) المعهود في التكتلات الزعامية ، والذي يعتبر جرثوم فنائها واندثارها .. فالانتماء للحركة الاسلامية هو أولا انتماء لهذا الدين ، وهو بالتالي امتثال لأمر الله وطمع في رحمته ورضاه !! .. وهذا ما يجعل الانتماء في منأى عن التأثير بموت الأشخاص أو زوالهم أو غيابهم عن مسرح الدعوة لسبب أو لآخر لأنه يجعل ارتباط الأفراد بالله واجتماعهم عليه سبحانه وتعالي ، وهذا في الواقع سر خلود هذه الدعوة وبقائها واستمرارها: (من كان يعبد محمدًا فان محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[1]" [2]

ولا يخفى على القارئ خطورة هذا الكلام، فقد نزَّل الكاتب ما ينبغي أن يكون بين العبد وبين الله من علاقة وجعله أصلا في العلاقة بين الفرد والجماعة !!، فقد جعل الجماعة هي الدين !! والدين هو الجماعة، ولم يكتفِ

(١) سورة الفتح : ١٠.

(٢) ماذا يعني انتمائي للإسلام- فتحي يكن - ط: الرسالة – ص ١٣٧ – ١٣٨

بهذا بل ذهب إلى الاستدلال بنصوص مقدسة لتخدم فكرته، واستدل بآية تنص على بيعة الصحابة لرسول الله ﷺ ليسحبها على البيعة في جماعته التي يدعوا إليها، فمن نكث في بيعة جماعته التي ينتمي إليها يُعد من الساقطين الذين تساقطوا على طريق الدعوة على غرار عنوان كتابه الآخر: " المتساقطون على طريق الدعوة "، والملاحظ على كلام الأستاذ فتحي يكن عدة أمور:

- أن كلامه حماسي عاطفي غير علمي .
- وأنه يروِّج للمفاهيم المغلوطة .
- ويستدل بالنصوص ويصورها على غير وجهها، فيتعامل مع العلم كأنه شاب ثوري.

ومن هنا نعلم يقينا أن العاطفة الدينية إذا طغت على المنهج العلمي فإن هذا سيصل بنا بلا شك إلى نتيجة كارثية .

وإليك أيها القارئ نموذجًا آخر من كلامه يستدعي فيه الآيات القرآنية بطريقة عجيبة وغريبة للاستدلال بها على صحة فكرته، فيقول :

"إنما يجب أن يكون الانتماء للحركة إنتماءً مؤبدًا لا انفكاك فيه أو نكوث عنه أو هروب منه حتى يلقى المنتمي ربه وهو على ذلك .. وهذا ما كان عليه أسلافنا الصالحون، بل هذا ما أكدته كثير من آيات الله البينات منها قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ

نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾(٢) .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾(٣) (٤).

لقد جعل الأستاذ فتحي يكن الآيات التي تتكلم عن الانتماء للدين دليلا يستدل به على صدق الانتماء للجماعة !، وهذا تحريف للآيات عن مقاصدها ومعانيها، وتأويلها على غير مرادها، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه عن التحريف : إنه فساد التأويل، ويلزم من استدلاله بهذه الآيات أن من خرج من الحركة الإسلامية وتركها، إما أن يكون منافقا، أو مرتدا، أو ضعيف الإسلام، وللعودة لآراء المفسرين المعتبرين يتضح لنا المراد من معاني هذه الآيات الكريمات، يقول ابن كثير: (يقول تعالى مخبرا عن صفات قوم من [المكذبين] الذين يَدَّعُونَ الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم،

(١) سورة العنكبوت : ١٠.

(٢) سورة الحج : ١١.

(٣) سورة آل عمران : ١٤٦-١٤٨.

(٤) ماذا يعني انتمائي للإسلام-فتحي يكن- ص ١٤٠ ط الرسالة .

بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[1] ، قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2] .

ويقول الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

" هذا فريق من الذين أسلموا بمكة كان حالهم في علاقاتهم مع المشركين حال من لا يصبر على الأذى فإذا لحقهم أذى رجعوا إلى الشرك بقلوبهم وكتموا ذلك عن المسلمين فكانوا منافقين فأنزل الله فيهم هذه الآية قبل الهجرة، فهؤلاء استزلَّهم الشيطان فعادوا إلى الكفر بقلوبهم لضعف إيمانهم وكان ما لحقهم من الأذى سببا لارتدادهم ولكنهم جعلوا يظهرون للمسلمين أنهم معهم، ولعل هذا التظاهر كان بتمالؤٍ بينهم وبين المشركين فرضوا منهم بأن يختلطوا بالمسلمين ليأتوا

(١) سورة العنكبوت : ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٩)، ط: دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

المشركين بأخبار المسلمين، فعدهم الله منافقين وتوعدهم بهذه الآية، وقد أومأ قوله تعالى: ﴿ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا ﴾ إلى أن إيمان هؤلاء لم يرسخ في قلوبهم وأومأ قوله: ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ إلى أن هذا الفريق معذبون بعذاب الله، وأومأ قوله: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ إلى أنهم منافقون يبطنون الكفر، فلا جرم أنهم من الفريق الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، وأنهم غير الفريق الذين استثنى الله تعالى بقوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾

فليس بين هذه الآية وآيات أواخر سورة النحل اختلاف كما قد يُتوهم من سكوت المفسرين عن بيان الأحكام المستنبطة من هذه الآية مع ذكرهم الأحكام المستنبطة من آيات سورة النحل." [2]

ومن خلال معرفة التفسير الصحيح من خلال كلام المفسرين يتضح مدى التخبط الشديد عند فتحي يكن الذي استدل بالآية السابقة وجعلها دليلًا على من نكث في بيعته للحركة أو تركها !، فجعل من نكث في بيعته للحركة إما بالترك أو بالابتعاد كمن نافق وانقلب على وجهه، فخسر خسرانًا مبينًا !!

(١) سورة النحل : ١٠٦.

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»للإمام : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ط : الدار التونسية للنشر - تونس١٩٨٤ هـ ص(٢٠/ ٢١٥ -٢١٦).

وجاء في تفسير الطاهر لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ ﴾[1] .

"وأما استخراج معنى الآية من نظمها فإنها نسجت على إيجاز بديع، شبهت حالة استبطان هذا الفريق الكفر وإظهارهم الإسلام على حنق، أو حالة ترددهم بين البقاء في المسلمين وبين الرجوع إلى الكفار بحالة المغتاظ مما صنع فقيل لهم: عليكم أن تفعلوا ما يفعله أمثالكم ممن ملأهم الغيظ وضاقت عليهم سبل الانفراج، فامددوا حبلا بأقصى ما يمد إليه حبل، وتعلقوا به في أعلى مكان ثم قطّعوه تخروا إلى الأرض، وذلك تهكم بهم في أنهم لا يجدون غنى في شيء من أفعالهم، وإنذار باستمرار فتنتهم في الدنيا مع الخسران في الآخرة."[2]

وما ذكره المفسرون من معان لهذه الآية أو غيرها، يؤكد لنا بصورة واضحة ما ذكرناه سابقا من خطورة أن يتجاسر أحد على الاستدلال بالنصوص القرآنية والنبوية على غير وجهها، ولهذا فلا عجب أن نراهم يحكمون بجاهلية المجتمعات، وهذا ما صرح به فتحي يكن في كتابه المذكور قائلا عن وضوح الطريق:

"ويجب أن ندرك كذلك أن العمل للإسلام ، يعني العمل لتطبيق شرعة الله

(١) سورة الحج : ١١.

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٩- ٢٢٠)

في الارض .. يعني إحلال هذه الشريعة مكان شرائع الهوى والطاغوت .. ومنهج الله وشريعته فيها من (الكفاية) ما يغنيها ومن (الغني) ما يكفيها .. فيها من العقيدة جلالها ، ومن الاخلاق جمالها ، ومن التشريع سعته وعمقه ومرونته .. وبذلك لا يكون التعايش مع الجاهلية – امدا وقدرا – الا في حدود ما تحتاج اليه عملية الانقلاب عليها من قوى وامكانيات .. لأن الغاية هي تحقيق هذه النقلة .. وكل عمل لا يكون مساعدا على تحقيقها ، أو مساهما في بلوغها ، يكون تلهّيا بما هو أدني عن الذي هو خير(فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم) .[1]

والنص السابق لكلام فتحي يكن يرسخ فيه لكلام سيد قطب أننا نعيش في مجتمع جاهلي، ويؤكد بعد ذلك أنه لا بد من مواجهة هذه المجتمعات الجاهلية ونقضها سائرا على منهج سيد قطب فيقول:

" **ويمكن تحديد معالم الطريق النبوية من خلال الخطوط الرئيسية التالية**:

أولا : إعلان العبودية لله من أول يوم، من غير مصانعة أو التواء .

ثانيا : إقامة تجمُّع حركي ، يرتبط عقائديا وإيمانيا بالله ، ويخضع تنظيميا وحركيا لقيادة واعية ، ويسير على هدى من الله ونور، تجمع حركيا لقيادة واعية ، ويسير على هدى من الله ونور، تجمع حركي لا يخبط عشواء، ولا تشغله

(١) فتحي يكن ، ماذا يعني انتمائي للإسلام، ص ١٤٩.

الأحداث الجانبية والقضايا الهامشية عن مواصلة العمل والإعداد لتحقيق أهداف الاسلام الكبرى، تجمع حركي يرتبط بالإسلام إرتباط مصير، يتجاوز كل الاعتبارات والتعليقات الشخصية والمادية والزمنية تجمُّع شهدت ولادته دار (الأرقم بن أبي الأرقم) حيث تأصَّل الإيمان في قلوب أصحابه ، وخبرت جهاده وتضحياته ساحات المعارك في بدر والقادسية واليرموك وصفحات التاريخ زاخرة ببطولات هذا الجيل الذي تعهده محمد بن عبد الله ﷺ، والذي به فتح الله الدنيا أمام دعوة الاسلام .. (أولئك آبائي فجئني بمثلهم)[1].

ويقول في موضع آخر وهو يتحدث عن العزلة النفسية لا الحسية: " ولقد كثر الكلام أخيرا عن العزلة الشعورية التي دعا إليها الشهيد سيد قطب:" أنه لا بد من طليعة تعزم هذه العزمة، وتمضي في الطريق .. تمضي في خضم الجاهلية الضاربة الأطناب في أرجاء الأرض جميعا" [2]

وهكذا يرسخ فتحي يكن هذا المصطلح - مصطلح الجاهلية- في كتاباته فيتشبع به أبناء الحركة الإسلامية من الشباب المغرر بهم المنتمين إليها!!، ثم يمضي يكن في طريقه مؤكدا على مواجهة الجاهلية في زعمه أن هذا لا يكون إلا بالجهاد النفسي والحسي !! ، ويتابع يكن كلامه الممتلئ بالاستعلاء، ويزرع في نفوس من يخاطبهم أنهم الصفوة دون غيرهم، وأن غيرهم لا يمثلون الخط

(١) ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن- ط: الرسالة- ص ١٥٥- ١٥٦.

(٢) ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن -ص ١٢٠.

الإ سلامي الأصيل، فيقول:

" إنَّ عليَّ أنْ أدرك حينما أنتمي للحركة الإسلامية أن طرائق العمل الإسلامي الأخرى ومنظماته المختلفة لا تمثل الخط الإسلامي الأصيل .. وأن واحدة منها لا تلتزم بمنهج الرسول "ﷺ" التزامًا كاملا، وإن كان بعضها يختلف عن بعض اختلافا كبيرًا في نسبة الالتزام ومدى جزئيته أو كليته".[1]

وهنا مكمن الخطورة في هذه الدعاوي العريضة التي تحتكر لنفسها أنها تمثل الخط الإسلامي الأصيل!، وأنها هي التي تلتزم بمنهج رسول الله ﷺ" التزاما كاملا !! ، والتفكير بهذه الصورة لا شك أنه يؤدي إلى نتيجة سيئة تعود على المتلقي بعواقب وخيمة، لأن المتلقي بهذا التصور يرى نفسه أنه الحق وأنه هو الفاهم للإسلام فهما كاملا شاملا، ومن هنا يحصل الاستعلاء على الناس والمجتمعات ولو بدون قصد .

ويقول في موضع آخر: "مواجهة الجاهلية مواجهة كاملة ولكنها واعية .. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك أن أهداف الإسلام تحتاج إلي تغيير كلي في حياة الناس .. في أفكارهم ومعتقداتهم .. في سلوكهم وتقاليدهم .. في نظمهم وتشريعاتهم .. وأن هذه المواجهة بالتالي تحتاج الي إعداد (الطليعة المؤمنة) بما يتناسب وثقل الأمانة وضراوة التحدي وضخامة الأهداف .

(١) المصدر السابق ، ص ١٣١

ولذلك .. كان الإعداد كليا .. بالعبادة والتربية كما بالفكر والثقافة .. وبالتنظيم والتخطيط كما بالتدريب والتمرس على الجهاد النفسي والحسي كل جانب من هذه الجوانب بحسب أهميته وحجم الحاجة اليه وفي مكانه من مراحل العمل كما وكيفا ووقتا" .[1].

ثم يتكلم الأستاذ فتحي يكن عن الانتماء للحركة الإسلامية كلاما مشحونا بالعصبية يعلن فيه أن الانتماء إلى الحركة الإسلامية (الإخوان) هو انتماء فعلي للإسلام !! فيقول في مبحث أركان البيعة :

"إن الانتماء للحركة الاسلامية هو في الحقيقة انتماء فعلي للإسلام .. وبداية عهد جديد مع الله .. ومبايعة علي العمل والجهاد في سبيل الله".أ.هـ[2]

ويقول: " إن مهمة الحركة الإسلامية أن تهيئ كل الطاقات والإمكانات الكفيلة بإزالة حكم الطاغوت، وليس مهمتها أن تلتمس الحلول لمشكلة المجتمعات الجاهلية التي تحكم بغير ما أنزل الله " [3]

بل إن الأستاذ فتحي يكن ذهب ليستدلال بكلام الفقهاء وأهل العلم في عدم جواز الخروج على الحاكم ليوظفه في عدم جواز خروج أحد من أفراد الجماعة على قادتها ومسؤليها!! ناقلا عدة أقوال منها ما ذكره الإمام ابن جزي: "

(١) ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن، ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن ص ١٥٣ .

لا يجوز الخروج على الولاة وإن جاروا، حتى يظهر منهم الكفر الصراح، وتجب طاعتهم فيما أحب الإنسان وكره، إلا إن أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، ثم يعلق فتحي يكن بعد إيراد كلام الإمام ابن جزي قائلا: " والأخ الغامل الصادق يجب أن يستمد من كل هذه الأقوال وغيرها ما يجب عليه في معاملة مسؤوليه وقادة الدعوة !! [1]

هذا نموذج من الكتب وغيرها التي يتربى عليها أفراد الإخوان رجالهم وشبابهم ونسائهم ويهيئون عقولهم لها، حتى يعمل كل الأفراد للتمكين للدين بهذا الفهم السقيم، وبهذه التنظيرات التي تصيب النفوس بالاستعلاء من حيث لا تشعر، فتنظر إلى المجتمع نظرة دونية، وتختزل فهم الإسلام وشمولية الإسلام، ونصرة الإسلام، والعمل للإسلام في طائفتها!! فينظر أفرادهم للمجتمع على أنه مجتمع جاهلي، وأن في كمال دينه نظر، وأن الدين الصحيح إذا أردتَه ستجده عندنا في جماعتنا، لأن الشمولية والفهم الصحيح للإسلام لن تجده عند غيرنا!!

بل هناك نص عجيب في نفس الكتاب يؤكد على صحة رأي من قالوا أن مشكلة الإخوان الكبرى أنهم يرون الإسلام من منظار جماعتهم، ويرون أنفسهم أنهم الفصيل الوحيد الذي يمثل الإسلام !! وأنهم هم المجتمع، وأصحاب المشروع الإسلاميالصحيح، جاء فيه :

(١) نفس المصدر السابق، ص ١٦٦ .

"إن هذة الهيئات والأحزاب الاسلامية وتلك لا تمارس العمل الإسلامي الأصيل المتكامل العمل الذي يمكن أن يحقق النقلة الكبيرة من الجاهلية الي الإسلام العمل الذي يمكن أن ينقذ العالم الإسلامي من تحكم الحضارة الغربية الفاجرة وحكم الكفر والطاغوت العمل الذي يستهدف تكوين الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع المسلم ، والدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله ، ولذلك تبقي أعمال كل هذة الفئات مبتورة شوهاء فضلا عن أن بعضها قد يتسبب في إساءات بالغة للإسلام باسم الإسلام، وجزئية هذه الفئات وقصور عملها قد يوحيان أن الإسلام كذلك ، وتعالى الإسلام عن ذلك علوا كبيرا ؟ أو قد يخففان من خطورة النظم الوضعية وينفسان من غلواء المسلمين عليها ويساعدانها على الاستمرار والبقاء" [1]

والمُلاحَظ من الكلام السابق لفتحي يكن أنه مع تأكيده على مصطلح الجاهلية في كثير من كلامه، إلا أنه لم يقدم في كتابه ما هو مفهوم الدولة المسلمة، وما هو المشروع الذي سيقدمه للأمة !!، والحقيقة أنك لن تجد إلا كلاما عاطفيا ليس فيه رؤية يطرحها نفهم من خلالها ما هو المشروع الذي يدعوا إليه ؟، وهذا أمر خطير ألمح إليه الأستاذ جاسم في كتابه: "أزمة التنظيمات الإسلامية"، وأشار إليه الدكتور أسامة الأزهري في ورقته المسماة بـ"المشروع

(١) ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

الإسلامي بين الحقيقة والخرافة"، قال فيها :

" والدعوة والإعلان والترويج لما يسمى بالمشروع الإسلامى -قبل تصنيعه واستنباطه من ينابيعه- أمر فى غاية الخطورة، لأنه يدعو الناس إلى شىء، ثم عند إقبال الناس وقبولهم يفاجأون بأنه لا إجابة لمشكلات عصرهم، أو بإجابات مرتجلة هزيلة، أو بجهل مطبق بالواقع، مما يفضى بالناس إلى التكذيب والتشكك فى وجود أى طرح إسلامى صالح لتسيير حركة المجتمع، وحياة البشر، ويجعل الناس غير قابلين لتصديق أى طرح إسلامى آخر بعد ذلك. - مثال ذلك أن تخرج فئة من الناس بحملات دعاية إعلانية ترويجية ضخمة، تتكلف مئات الملايين، تدعو إلى شراء سيارة مصرية الصنع، حتى إذا اقتنع الناس وصدقوا وتوافدوا على الشراء، فوجئوا بمن يقول لهم: (سوف نبيع لكم، لكن بعد أن نقيم المناجم ونجمع العمالة اللازمة لاستخراج المعادن والخامات اللازمة والمتوفرة بالفعل لكن فى باطن الأرض، ثم إننا سوف ننشئ المصانع، ونجتذب الخبرات العالمية التى تساعدنا فى التصنيع، وبعد نحو ثلاثين سنة مثلا سوف نرسل لكم السيارة المطلوبة)، فلماذا كانت الدعاية الضخمة لنقبل على الشراء فوراً؟؟ إن الدعاية لشىء قبل تصنيعه يمثل خطراً كبيراً جداً. - كل هذا فى ظل وجود تجارب فى أفغانستان والصومال والسودان وإيران وغيرها، آلت فى معظمها إلى الخراب والدمار والتفكك والتراجع لدولها ومجتمعاتها وأوطانها، وجعلت كثيراً من المفكرين والباحثين ينفرون من

أطروحة تتكلم عن مشروع إسلامى، لأن كل التجارب السابقة كانت نتائجها مريرة، والسبب هو عدم قيامنا حتى الآن بصناعة المنتج الفلسفى والفكرى والتنظيرى والتطبيقى للأصول التى يمكن أن تنهض على أساسها دولة، مع اعتمادنا على شدة حضور أصولها فى نصوص هذا الدين وأطروحاته، فحصل عندنا انتقال ذهنى من حضور أصولها فى ينابيع الدين ومعادنه العليا، إلى مظنة أن مجرد وجود أصولها يكفى فى ترويجنا لها، وغفلنا عما يستوجبه ذلك من قيامنا كأمة، بالتصنيع والتنزيل والتخريج والتشييد لكافة إشكاليات العصر وفق تلك الأصول." [1]

(١) المشروع الإسلامي بين الحقيقة والخرافة، – رؤية أزهرية–، الدكتور أسامة السيد محمود الأزهري، ط: الرابطة العالمية لخريجي الأزهر،– مكتب رسالة الأزهر ص ٧– ٨ .

المبحث الثالث

مفهوم التمكين فى القران الكريم

المفهوم الأول : التمكين البشري .

المفهوم الثاني : التمكين للمستضعفين .

المفهوم الثالث : التمكين للمؤمنين .

المفهوم الرابع : التمكين لولاة الأمور .

المفهوم الخامس: التمكين لغير المسلمين .

التمكين في القرآن الكريم

إن تصوير فكرة التمكين على غير وجهها كان له الأثر السئ على عقلية كثير من أفراد الحركة الإسلامية الذين انطلقوا من الآيات المتعلقة بالحكم كما فهمها سيد قطب فأسس لفكرة الحاكمية، أوبالآيات التي تتحدث عن التمكين في القرآن الكريم لإثبات صحة ما ينادون به، ومن خلال تأمل الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر التمكين في القرآن الكريم نجد أن الصورة التي تم تقديمها عن فكرة التمكين صورة سقيمة غير سديدة، تقتصر على عرضه واختزاله في إطار واحد، ولم يلتفت هؤلاء إلى أن هناك مفاهيم متعددة لمسألة التمكين، فهناك مفهوم التمكين للبشرية جميعا، ومفهوم التمكين للمؤمنين، ومفهوم التمكين لغير المسلمين، ومفهوم التمكين لمن أخذ بالأسباب والذي بسببه تقوم الحضارات، وتكثر الخيرات، وينشأ العمران، ويستتب الأمن والأمان، وهناك مفهوم التمكين لولاة الأمور، ومفهوم التمكين للمستضعفين، وكل مفهوم له مدلول يختلف عن المدلول الآخر، وله سياقاته التي نفهم النصوص في ضوئها، و ممن تعرض للكلام عن مفهوم التمكين عند التيارات المتطرفة والمفهوم الصحيح المقابل له هو الدكتور أسامة الأزهري في كتابه: "الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين"، وقد رد على بعض التصورات السقيمة التي ذكرها الدكتور علي الصلابي في كتابه: " فقه النصر والتمكين

في القرآن الكريم"، وناقش كذلك ما كتبه الأستاذ سيد قطب فيما تصوره من مفاهيم عجيبة ومغالطات في تأويله المنحرف لبعض آيات القرآن الكريم في ظلاله كقول النبي الكريم سيدنا يوسف عليه السلام في قول الله تعالى : (اجعلني على خزائن الأرض)، وكيف فهم سيد قطب منها أن هذا يستفاد منه السعي إلى الإمارة وطلب الحكم، وأن نبي الله يوسف عليه السلام سعى إلى الإمارة بهذا المفهوم، وقد رد على هذا الفهم الذي اتخذته هذه التيارات حجة في وجوب السعي إلى الحكم، فأقام الحجج الواضحات على مثيري الشبهات، وتكلم عن ذي القرنين وكيف مكن الله له في الأرض، فمن أراد التوسع في هذا المفهوم وغيره فعليه بهذا المبحث النافع المثمر، وقد ذكر أيضا الأسباب والمعايير والموازين التي تعيين على الفهم الصحيح فقال: "إن صناعة المفاهيم واستخراج القضايا والمدلولات من القرآن، هي عملية صناعية معرفية ثقيلة، لا بد لها من أدوات علمية، ومفاتيح، ومعايير، ومقاييس، وضوابط تضمن صحة الفهم، وموازين تعين على قياس مدى انطباق ذلك الفهم على مراد القرآن ومقصده، إنها عملية علمية مهيبة، ودقيقة، لأنها تصون الوحي الشريف من أن ينسب إليه أحدٌ أفهاما مفعمة بالأهواء البشرية، تترجم عنه ترجمة غير أمينة ولا مطابقة لمقاصده، ثم تناضل عن أفهامها تلك، وتعتبرها حقا مطلقًا، له قداسة النص الشريف، ومن أجلِّ وأكمل مقاصد أهل العلم أن يتابعوا في

كل زمان ما يطرأ ويجد ويستحدث من الأفهام والأطروحات التي تنسب نفسها للوحي، لترى ما له أصل تحتمله أدوات الفهم ومناهجه فيبقى وإن اختلفت فيه الأفهام والمدارك، ولترى ما هو هوى بشري محض، وانفعال بحت، يحاول تقويل القرآن ما لم يقل، وينسب هواه إلى الوحي الشريف. ومعيار قياس الأفهام التي يصح انتسابها إلى للوحي دون غيرها هو استخدام قواعد أصول الفقه، وعلوم البلاغة من المعاني والبيان، والقواعد الفقهية، ومقاصد الشريعة، ومعرفة ما أجمع عليه المسلمون، مع الصبر والتمرس بمدارك أئمة الاجتهاد وأهل العلم، ومعرفة التجربة التاريخية التي تراكمت عند المسلمين من تحويل آيات القرآن إلى برامج عمل تُفرز البصيرة والهداية، وتتلاءم وتنسجم مع ظروف كل عصر وزمن، وقد أخرجت تلك التيارات المتطرفة فهمًا مغلوطًا في قضية التمكين، فأتوا بتصور انفعالي متخبط، لا يجمع النصوص القرآنية الواردة في هذه القضية، ولا يحسن تركيبها وتنسيقها، ولا يصبر على سبر مدلولات ألفاظها وسياقاتها، ولا يقاس نتائج فهمه إلى بقية موارد الشرع حتى تنسجم الأفهام ولا يصدم بعضها بعضًا، وبسبب غياب هذه المنهجية أخذوا آية من كتاب الله، صوروا معها مفهوم التمكين الذي يتحدث عنه القرآن على أنه مجموعة إجراءات تتيح للإنسان السعي إلى السلطة، مستنبطًا احتكاره للإسلام، وأنه وحده دون غيره الأحق بإقامته، وأنه يمتلك دون بقية المسلمين وعدًا إلهيًا بنصره على بقية

المسلمين، حيث إنه منطلق أساسا من تكفيره للمسلمين . أ.هـ [١]

وبهذه المفاهيم المغلوطة التي تم ترويجها بين أصحاب هذا الفهم الغريب، ومع علو صوتهم وكثرة منشوراتهم ومؤلفاتهم صارت هناك قناعة عند الكثير بصحة ما يقوله هؤلاء إلا من لم تنطلي عليهم هذه الأمور، وإليكم مرورا سريعا لأنواع التمكين في القرآن الكريم، فمن هذه الأنواع:

التمكين البشري :

وقد أشار القرآن الكريم إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [٢].

وفي معناها يقول الإمام ابن عطية الأندلسي: "الخطاب لجميع الناس، والمراد أن النوع بجملته مُمَكن في الأرض" [٣]

وجاء في كتاب الحق المبين : "عبر الله تعالى بكلمة التمكين مرات في حق المؤمن والكافر، وفي الأمم السابقة، وفي حق البشرية عموما، وحيث تكلم الله تعالى عن التمكين جعله منسوبا إليه هو سبحانه، فنلاحظ أن الله تعالى في

(١) الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين- د.أسامة الأزهري- ص ١١٤،١١٥- ط١-دار الفقيه.

(٢) سورة الأعراف : ١٠ .

(٣) تفسير ابن عطية المسمى بـ" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (٢/ ٣٧٧)- ط: دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٢هـ

كل المواضع التي تكلم فيها عن التمكين جعلها تصرفا إلهياً، وليس تكليفًا بشريًا، إنه معنى يصنعه الله، وليس حُكمًا تكليفيًا، فيقول سبحانه: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) ومعنى التمكين هنا هو أن الله تعالى هيأ في هذا الكوكب الأرضي مجال الجاذبية، ودرجة الحرارة والطقس بطريقة معينة، وأوجد الغلاف الجوي والأشجار، وعملية البخر والسحاب والأمطار، وجريان الأنهار، ووجود الزرع والثمار، فسمى الله هذا الخلق الإلهي بالتمكين، حيث لم يجعلنا سبحانه نقيم على المريخ ولا على الزهرة ولا على القمر، إذ لم يوجد في تلك الكواكب والأجرام أمثال هذه العوامل، فما أجراه الله في هذا الكون من تمهيد وتصرف إلهي سماه تمكينًا للإنسان."أ.هـ[1]

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ"

تذكيرا بنعمة إيجاد النوع، وهي نعمة عناية، لأن الوجود أشرف من العدم، بقطع النظر عما قد يعرض للموجود من الأكدار والمتاعب، وبنعمة تفضيله على النوع بأن أمر الملائكة بالسجود لأصله، وأدمج في هذا الامتنان تنبيه وإيقاظ إلى عداوة الشيطان لنوع الإنسان من القدم، ليكون ذلك تمهيدا للتحذير من وسوسته وتضليله [2] .

(١) الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين- د.أسامة الأزهري- ص١٣٣-١٣٤- ط١-دار الفقيه .

(٢) التحرير والتنوير (٨- ٣٥/ ٣٦)

المفهوم الثاني : التمكين للمستضعفين:

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الصورة من صور التمكين في سورة القصص، وكيف أن الله مكن لبني إسرائيل بأن جعل زوال ملك فرعون على أيديهم، بعد أن أذاقهم ألوان العذاب، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [1] .

قال الطاهر بن عاشور : " وَخَصَّ بِالذِّكْرِ مِنَ الْمَنِّ أربعة أشياء عطفت على فعل نمن عطف الخاص على العام وهي: جَعْلُهُمْ أئمة، وجعلهم الوارثين، والتمكين لهم في الأرض، وأن يكون زوال ملك فرعون على أيديهم في نعم أخرى جمة، ذكر كثير منها في سورة البقرة، فأما جَعْلُهُمْ أئمة فذلك بأن أخرجهم من ذل العبودية وجعلهم أمة حرة مالكة أمر نفسها لها شريعة عادلة وقانون معاملاتها وقوة تدفع بها أعداءها ومملكة خالصة لها وحضارة كاملة تفوق حضارة جيرتها بحيث تصير قدوة للأمم في شؤون الكمال وطلب الهناء، فهذا معنى جَعْلُهُمْ أئمة، أي يقتدي بهم غيرهم ويدعون الناس إلى الخير وناهيك بما بلغه ملك إسرائيل في عهد سليمان عليه السلام.

وأما جعلهم الوارثين فهو أن يعطيهم الله ديار قوم آخرين ويحكمهم فيهم،

(١) سورة القصص، الآية ٦

فالإرث مستعمل مجازا في خلافة أمم أخرى، فالتعريف في الوارثين تعريف الجنس المفيد أنهم أهل الإرث الخاص وهو إرث السلطة في الأرض بعد من كان قبلهم من أهل السلطان، فإن الله أورثهم أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والآراميين، وأحلهم محلهم على ما كانوا عليه من العظمة حتى كانوا يعرفون بالجبابرة قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾[1].

والتمكين لهم في الأرض تثبيت سلطانهم فيما ملكوه منها وهي أرض الشام إن كانت اللام عوضا عن المضاف إليه. ويحتمل أن يكون المعنى تقويتهم بين أمم الأرض إن حمل التعريف على جنس الأرض المنحصر في فرد، أو على العهد، أي الأرض المعهودة للناس، وأصل التمكين: الْجَعْلُ في المكان. وما كانوا يحذرون؛ هو زوال ملكهم بسبب رجل من بني إسرائيل حسبما أنذره بذلك الكهان." أ.هـ[2]

وإذا تأملنا قصة موسى عليه السلام وقومه وكيف مكن الله لهم، وما هي المراحل التي سلكها موسى عليه السلام، وكيف عانى مع قومه بعد ذلك لرأينا عجبا وعِبَرًا .

يأمر الله موسى أن يذهب مع هارون عليهما السلام إلى فرعون حاكم مصر في ذلك الوقت، ولكن الله سبحانه وتعالى يرشدهما إلى ما ينبغي أن

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٧١) .

(٢) سورة المائدة : ٢٢.

يقوما به من لين الكلام وعدم الصدام، وإظهار الحجة وإقامة البرهان بعيدا عن الصياح والهياج الذي صار قانونا عند التيارات المتطرفة، فقال سبحانه في كتابه الكريم :

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

وهذا هو المنهج القرآني مع الذي طغى، وذبح أبناء بني إسرائيل، واستحيا نساءهم، وجعلهم عبيدا، فما بالكم بمن هم دونهم ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2] .

ورغم كل هذا الذي فعله فرعون من بطش وتنكيل وتعذيب وقتل، فإن موسى عليه السلام لم يطلب من قومه شيئا فوق طاقتهم، بل قال لهم فيما حكاه القرآن عن قول موسى عليه السلام لقومه ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

فالتمكين الذي حصل لهم بعد ذلك كان نتيجة صبرهم، والتزامهم بأوامر الله عزوجل وأوامر موسى عليه السلام، وكان مشيئة إلهية نأخذ منها الدروس والعبر. والفضل الإلهي لا يمنعه أحد ولا تقف الحواجز دونه، وحينما لم

(١) سورة طه : ٤٣-٤٤.

(٢) سورة الأعراف : ١٢٧ .

(٣) سورة الأعراف : ١٢٨ .

يلتزموا بالأوامر نزع الله عنهم هذا التمكين كما هو معلوم، وكتب عليهم التيه في الأرض، فما حصل كان محض فضل من الله عزوجل لا دخل لأحد فيه .

التمكين للمؤمنين:

الإيمان والعمل الصالح سبب وثيق للتمكين :

يقول العلامة الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا في ذلك، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله والرسول "ﷺ " ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾[1]، وإذا حل الاهتداء في النفوس نشأت الصالحات فأقبلت مسبباتها تنهال على الأمة، فالأسباب هي الإيمان وعمل الصالحات." [2]

فالتمكين متوقف هنا على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فأين فهم الحركيين اليوم من هذه الآية التي جعلوا منها مقصدا للسعي إلى السلطة، ومعاداة الحكام من أجل إقامة دولة الخلافة، يقول الشيخ الأستاذ عبدالغني عمري في كتابه "

(١) سورة النور : ٥٤

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٨٢- ٢٨٣)

العِبَر الإخوانية ":

" وأما معاملة الحكام، فتكون بالنصح مع مراعاة الأدب مع المراتب؛ فإن أدب المراتب من أنفس العلوم التي لا يؤتيها الله إلا الحكماء من عباده. وكل من يزعم في هذا الزمان معاداة الحكام من أجل إقامة الخلافة، فهو واهم. ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجه معاملة الحكام في أزمنة الفتنة في مثل قوله: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قِيلَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[1] ظاهر الحديث يخص الولاة الذين يكونون تحت الخليفة الشرعي، أو يخص الخلفاء بالمعنى الظاهر، سواء أكانوا خلفاء حقيقة أم ملوكا، وقد جعل لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معيارا، نعلم به جواز مقاتلتهم من عدمه؛ وهو إقامتهم للصلاة. وليست الصلاة هنا، الصورة الظاهرة المعلومة لدى العموم؛لأنها تكون مفتاحا لتحقيقها لدى من أَهَّلَهُ الله لذلك من المسلمين، وإذا كان الحاكم مقيما للصلاة، فلا يبقى لمخالفيه -وإن كانوا على حق وكان هو على باطل- إلا أن ينصحوه ويعصوه فيما يأمر به من معصية الله، وهذا يعني أن العمل السياسي الذي تجعل له الجماعة الوصوَل

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨١) .

إلى الحكم غاية، هو مخالف للتوجيه النبوي، ولا يمكن الوقوع في هذه المخالفة، إلا إن انساق العبد وراء فكره، مستعيضا به عن الوحي. وهذه آفة جدير بصاحبها أن يسعى إلى خلاص نفسه بالتوبة وسلوك سبيل المؤمنين، لا باشتغاله بالفضول" .أ.هـ[1]

التمكين لولاة الأمور:

وفي الآية الجليلة " وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..." فوائد جليلة أخرى فالخطاب موجه لكل المؤمنين حكاما ومحكومين، وفيها بشارة للحكام الذين يسعون لنشر الأمان وبذل السلام، ونصرة المظلوم، وإقامة العدل والحق بين الناس، وعمارة الأرض، والإنصاف مع الرعايا وإن اختلفت أديانهم وطوائفهم، فإن فعلوا هذا مكن الله لهم، وجعلهم سببا لحفظ البلاد والعباد، وهذا ما ألمح إليه صاحب التحرير والتنوير في تفسيره حيث قال : " وبين الرسول عليه الصلاة والسلام تصرفات ولاة الأمور في شؤون الرعية ومع أهل الذمة ومع الأعداء في الغزو والصلح والمهادنة والمعاهدة، وبين أصول المعاملات بين الناس، فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضح لهم الشرع تحقق وعد الله إياهم بهذا الوعد الجليل، وهذه التكاليف التي جعلها الله قواما لصلاح أمور الأمة ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن

(١) العِبرَ الإخوانية، الشيخ عبد الغني العمري- ص ٧١-٧٢- ط:١ دار النور المبين سنة ٢٠١٦

صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسبابا لها. وكانت المَوْعِدَةُ كَالْمُسَبَّبِ عليها فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع، وجعل الإيمان عمودها وشرطا للخروج من عهدة التكليف بها وتوثيقا لحصول آثارها بأن جعله جالب رضاه وعنايته. فبه يتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، وبه يحف اللطف الإلهي بالأمة في أطوار مزاولتها واستجلابها بحيث يدفع عنهم العراقيل والموانع، وربما حَفَّ بهم اللطف والعناية عند تقصيرهم في القيام بها، وعند تخليطهم الصلاح بالفساد فرفق بهم ، ولم يُعَجِّلْ لهم الشرَّ وَتَلَوَّمَ لهم في إنزال العقوبة، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1]

التمكين لغير المسلمين :

ونجد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾[2].

يقول الأستاذ الطاهر بن عاشور :

والخطاب في قوله: لكم التفات موجه إلى الذين كفروا لأنهم الْمُمَكَّنُونَ

(١) سورة الأنبياء : ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام – آية رقم ٦

في الأرض وقت نزول الآية، وليس للمسلمين يومئذ تمكين." أ.هـ[1]

فالآية الكريمة تشير إلى نعمتين عظيمتين جعلهما الله لمن لم يؤمنوا به سبحانه وتعالى بمحض فضله، وهما نعمتان بهما قوام البشرية والحضارات إذا ما أحسن الإنسان استخدامهما، نعمة نزول المطر، ونعمة وجود الأنهار واستمرار عطائها، فلما أحسنوا استخدام الثروات وقدَّموا أهل الخبرة والمعرفة والكفاءة في مقدمة الصفوف مكَّن الله لهم مع كونهم غير مسلمين ، وفي هذا يقول الطاهر: " والمراد إرسال المطر في أوقات الحاجة إليه بحيث كان لا يُخَلِّفُهُمْ في مواسم نزوله. ومن لوازم ذلك كثرة الأنهار والأودية بكثرة انفجار العيون من سعة ري طبقات الأرض، وقد كانت حالة معظم بلاد العرب في هذا الخصب والسعة، كما علمه الله ودلت عليه آثار مصانعهم وسدودهم ونسلان الأمم إليها، ثم تغيرت الأحوال بحوادث سماوية كالجدب الذي حل سنين ببلاد عاد، أو أرضية، فصار معظمها قاحلا فهلكت أممها وتفرقوا أيادي سبا." أهـ[2]

وفي كتاب "الحق المبين " بعض المعاني المتعلقة بهذه الآية الكريمة في مبحث "مفهوم التمكين" جاء فيه:

" بل جعل الله التمكين شيئًا يحدث مع غير المسلم: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١٣٨).

(٢) التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣٩).

قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾[1] .

فانظر مقدار النعم والثروات الطبيعية التي هيأها الله لهم، وجعل عندهم وفرة من الأمطار، فتُوجد الغابات، وتنشأ الزراعة، وتوجد ثروة سمكية، ثم قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ﴾[2]، فما زالت الثروات تتراكم عندهم، مما يعني وجود وفرة ورخاء، فهذا كله من صور التمكين، لكن هذا التمكين ليس مقيدا ولا مرتبطًا بالإيمان، بدليل قوله سبحانه بعدها: ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾[3]، فهناك ثروات تملأ الأرض، وهناك برامج، وخطط عمل، وهناك تنفيذ، فيقع شيء اسمه التمكين، لكن هذا التمكين قد يوجد مع الإيمان كما يوجد مع عدم الإيمان، فهؤلاء قوما ليسوا بمسلمين، ولكن عبر الله تعالى عما آتاهم من تصرف وجاه ونفوذ دولي وأممي وسياسي في زمانهم بالتمكين، وأنه سبحانه هو الذي آتاهم ذلك بتصرف إلهي محض.أ.هـ [4]

ويقول الطاهر بن عاشور : " فلو أن قوما غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله به المسلمين من الصالحات بحيث لم يعوزهم

(١) سورة الأنعام آية ٦

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٦ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٦ .

(٤) الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين – أسامة السيد محمود الأوهري– ط١١٤٣٦– ٢٠١٥ – دار الفقيه

إلا الإيمان بالله ورسوله لاجتنوا من سيرتهم صورا تشبه الحقائق التي يجتنيها المسلمون لأن تلك الأعمال صارت أسبابا وسننا تترتب عليها آثارها التي جعلها الله سننا وقوانين عمرانية سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده أو بالإشراك به أو بعدم تصديق رسوله يكونون بمنأى عن كفالته وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد، ألا ترى أن القادة الأروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما ما رسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي والفقه الإسلامي والسيرة النبوية قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان والمواساة وكراهة البغي والعدوان فعظمت دولهم واستقامت أمورهم. ولا عجب في ذلك فقد سلط الله الآشوريين وهم مشركون على بني إسرائيل لفسادهم(٢) فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾(١).

وبهذا يتضح لنا جليا أن هذه التيارات لم تفهم وتتصور مسألة التمكين في القرآن الكريم كما فهمه أهل العلم المعتبرين، وأن مفهوم التمكين في آيات القرآن الكريم بعيدا تمام البعد عن المفاهيم التي انطلقت منها التيارات

(١) سورة الإسراء، الآية ٤-٥

(٢) التحرير والتنوير - للطاهر بن عاشور (

المتطرفة التي حملت الناس على معان غير سديدة، ولهذا نجد أن التصدر لتفسير كتاب الله تعالى من غير توفر شروط المفسر التي حددها أهل العلم، ومن غير اعتبار القواعد العلمية يؤدي إلى الشطط، ومن أجل هذا وقع سيد قطب وغيره في مزالق وعرة، وخاض أرضا ليست بأرضه، وتجرأ في تفسير الآيات القرآنية من غير مراعاة القواعد المرعية، فأصَّل لمسألة الحاكمية وغيرها في الظلال بعد أن حكم على المجتمعات المسلمة بالجاهلية، وأخرج الآيات عن معناها السديد.

توصية وختام

اتضح لنا في ختام هذه الورقات؛ الورطات التي وقع فيها من أساء الاستدلال بالنصوص القرآنية والنبوية والمصطلحات العلمية وكلام الفقهاء والعلماء بطريقة غير سديدة، وبطريقة انتقائية غريبة تخدم الفكرة التي يروج لها، وكيف أن سوء توظيف المصطلحات أدى إلى خلل في طريقة التفكير مما أدى إلى مفاهيم غير سوية، لذلك ينبغي لنا معالجة الأفكار المنحرفة بتفنيدها والرد عليها، وهذا يحتاج إلى تضافر الجهود، وقيام كل مؤسسة بدورها على الوجه الأكمل، مع التعاون مع بعضها البعض، من أجل محاربة الأفكار المتطرفة، وهذا لا يكون إلا باستخدام كافة الوسائل الممكنة من أجل الارتقاء بالنفوس وتنوير العقول، وأوصي بالآتي :

١-على الجهات العلمية كالأزهر الشريف ومؤسساته، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة الثقافة، أن تتعاون لمواجهة هذه الأفكار الدخيلة

٢- على علماء الأصول والفقه والشريعة القيام بواجبهم بتفنيد الأفكار المنحرفة عند التيارات المتطرفة

٣-ثبت أن المقاربات (الحلول الأمنية) لا يمكن أن تكون بديلا للحلول الفكرية، فالفكر لا يواجه إلا بالفكر

٤-الحل الأمني تكون أهميته مع من تورط في العنف أو دعا إلى التحريض، ما عدا ذلك فإن الأفكار التي تتسم بها التيارات المتطرفة يجب أن يتم مواجهتها مواجهة فكرية.

وفي نهاية هذا البحث الذي ما أردت منه إلا النصح والتنبيه على أنه لا ينبغي أن نسير سير الهوجاء من غير تبصر ومن غير دراسة واعية، بل لا بد أن نعود إلى المرجعية العلمية، فلا ينبغي بحال من الأحوال أن نخرج عن المناهج القويمة، والمسالك السديدة، التي سرت بها الأمة عبر العصور والدهور، والتي اتصلت أسانيدها بسلاسل من ذهب، فمنهج السلامة يعلمنا التعايش في كل الحالات، ويعلمنا أن لا ننازع الأمر أهله، وأن نسعى إلى بناء الأوطان والحفاظ عليها، وبذل الجهد لتحقيق تقدمها ورخائها، والنصيحة للحكام والمحكومين بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا لا يكون بالشعارات الرنانة، والكتابات الحماسية، وإنما يكون بالبناء الفكري، والمنهج العلمي الرصين الذي يساهم في بناء العقول، ومن ثَمَّ بناء الأوطان والمجتمعات.

والله من وراء القصد، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبدالله وآله وصحبه وكل منتهج طريقه الأرشد.

مراجع البحث

١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)تـ: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، - بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

٢- تفسير ابن عطية المسمى بـ» المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- ط١: دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٢هـ

٣-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ط : الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤ هـ

٤- مستقبل الأصولية الإسلامية –يوسف القرضاوي- ط:مكتبة وهبة ١٩٩٧م الطبعة الأولى –

٥-في تفكيك خطاب التطرف، د. أحمد عبادي- ط: الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية

٦-البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي – فريد الأنصاري - ط ٢ –دار السلام

٧-شرح المقاصد- سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، ط: مطبعه محرم افندي سنة ١٩١٧

٨- شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تأليف السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ، ط ١: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ- ١٩٩٨– بيروت

٩- الاقتصاد في الاعتقاد ، الإمام الغزالي ط : دار المنهاج، تحقيق : أنس محمد عدنان الشرفاوي

١٠- شرح العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، للإمام تقي الدين أبي العز مظفر بن عبد الله الملقب بالمقترح- تحقيق نزار حمادي- مكتبة السنة- هولندا – ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩

١١ - (٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ' للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، ص ٣٢٧

تحقيق : د. علي جمعة محمد - دار السلام - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م

١٢ - إتحاف المريد بجوهرة التوحيد للقاني عبدالسلام بن إبراهيم- ص ١٦٠-١٦١ ط : مصطفي الحلبي - القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ- ١٩٤٨ م

١٣ؤ- الحاكمية في الفكر الإسلامي – د. حسن لحساسنة- سلسلة كتاب الأمة – ص ١٩٣- العدد ١١٨ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ

١٤- الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين- أسامة السيد الأزهري- ط١: دار الفقيه ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥

١٥- من فقه الدولة في الإسلام- يوسف القرضاوي- ط: دار الشروق –ط ٤: لسنة ١٤٢٥- ٢٠٠٥

١٦-المنهج الحركي للسيرة النبوية- منير الغضبان ط ٦: سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م- مكتبة المنار- الأردن.

١٧- العبر الإخوانية . عبد الغني العمري- ط١ سنة ٢٠١٦: دار النور المبين للنشر والتوزيع، عمان- الأردن

١٨-»وثيقة المدينة» المضمون والدلالة – أحمد قائد شعبي- ط:١- سلسلة كتاب الأمة- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، سنة ٢٠٠٥

١٩-المبادئ العظمى- وقال الإمام – علي جمعة - ط:١-سنة ٢٠١٠م- الناشر: الوابل الصيب –المقطم – القاهرة

٢٠- في تفكيك خطاب التطرف - د. أحمد عبادي - الرابطة المحمدية للعلماء - سلسلة االإسلام والسياق المعاصر.

٢١- رسالة في أصول الفقه عند الحنابلة، للشيخ محمد عبد اللطيف السبكي ط١: دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع- القاهرة ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨

٢٢-معالم في الطريق، سيد قطب – ص ١٢٤ – ط : دار الحدود ٢٠١٢ – تقديم عصام عبد الفتاح

٢٣- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، صادق أمين، دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة

٢٤ - ماذا يعني انتمائي للإسلام-فتحي يكن- ط الرسالة ١٩٨٨

٢٥ -الفكر السياسي الإسلامى السني على مستوى أصوله النظرية وقواعده التطبيقية- د. صبري محمد خليل- من موقعه الرسمي https://drsabrikhalil.wordpress.com/

٢٦- رسائل حسن البنا ، ط : دار الشهاب

٢٧- ابن القرية والكتاب- ملامح سيرة ومسيرة ط: دار الشروق القاهرة ٢٠٠٨م

٢٨- مقال بعنوان حكم بلا بينة مجلة المسلمون العدد الأول ديسمبر ١٩٥١

٢٩- الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن بن على جابر ، دار الوفاء للطباعة والنشر- والتوزيع ط: ٤ – ١٤١٠هـ- ١٩٩٠

٣٠ - المشروع الإسلامي بين الحقيقة والخرافة، - رؤية أزهرية-، الدكتور أسامة السيد محمود الأزهري، ط: الرابطة العالمية لخريجي الأزهر،- مكتب رسالة الأزهر.

٣١ - نهاية المطلب في دراية المذهب للإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)- تحقيق: د.عبد العظيم محمود الدّيب - ط: دار المنهاج الطبعة: الأولى،

٣٢ - تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام - أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد - ط : دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر - قطر/ الدوحة - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٣٣ - السياسة الشرعية للقرضاوي، مكتبة وهبة – القاهرة ،

المحتويات

تمهيد ٨

المبحث الأول: عوامل التأثير على نشوء منطلق التمكين.....١٥

المطلب الأول : انهيار دولة الخلافة وأثره على المنطلق ١٦

المطلب الثاني : تكوّن المنطلق عند حسن البنا ٢٦

المطلب الثالث: علاقة الحاكمية في تكوين منطلق التمكين ٤٣

المبحث الثاني الإنحراف الفكري في فهم نصوص التمكين ٥٦

المطلب الأول : القراءة المختلة للسيرة النبوية وتوظيفها للمنطلق ..٥٧

المطلب الثاني : المفاهيم الخاطئة للنصوص وأثرها على المنطلق ..٦٦

المبحث الثالث : مفهوم التمكين في القران الكريم ٩٢

توصية وختام ٩٠١

مراجع البحث ١١١

اصدارات أخرى من مبادرة سند (مطويات)

١. الوطن
٢. المسلم و الإسلامي
٣. التترس
٤. انا متعصب
٥. رفع الالتباس (امرت ان اقاتل الناس جميعا)
٦. وقولوا للناس حسنا
٧. الولاء و البراء
٨. وصايا النبي في الحرب
٩. شرعنة الفحش
١٠. يا كافر
١١. الاستشهاد
١٢. التعامل مع المخالف
١٣. الإستعلاء

اصدارات أخرى من مبادرة سند (أبحاث)

١٤. الجاهلية
١٥. حتمية الصدام
١٦. الإستعلاء

المنطلق : التمكين

وضعت الجماعات السياسية الاسلامية صياغة استدلالية من النصوص القرآنية والاحاديث والسيرة النبوية على مسألة السعي للتمكن من سياسة الأمة بالحكم، واعتبار ذلك من المسائل العقدية الأصولية في الديانة، وعملت على محاولة تطويع جميع النصوص الشرعية لتكوين فكرة المنطلق، وجعله الأساس في الأيديولوجية الإنتمائية للجماعة وأفرادها، ثم بث ذلك في الأمة؛ لتجييش الجميع لهذا الأمر (المنطلق) ؛ ليصبح الدليل الأقوى والمحرك الفاعل لأفراد الأمة للوصول إلى إعادة الخلافة والتمكين للدولة الاسلامية كما كانت قبل انيهار آخر دولة إسلامية في القرن الماضي.

البحث : حاول الباحث عرض هذا التصور الوهمي لهذا الأمر في عقول الجماعات السياسية الإسلامية الى الحقيقة القرآنية والسنة النبوية، وبيان المعنى الحقيقي للنصوص القرآنية والنبوية الواردة بشأن ألفاظ التمكين الواردة فيهما.

وربط ذلك البيان بالآتي :
– عوامل التأثير على نشوء هذه الرؤية وتكوين المنطلق.
– الإنحراف الفكري لدى منظري الجماعة في فهم النصوص لتكوين المنطلق.

www.sanad.network
facebook.com/sanadnetwork
twitter: @sanadnetwork
youtube.com/sanadnetwork
instagram.com/sanadnetwork

موسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org
مبادرة سند هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات